

# السندباد البحري

كامل كيلاني



# السَّنَدِ بَادُ الْبَحْرِي



# السَّنْدِبَادُ الْبَحْرِيُّ

تأليف  
كامل كيلاني



رقم إيداع ١٦٤٠٨/٢٠١٢

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٧١٩ ٠٠٩ ١

**مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة**

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

رسم الغلاف: حنان بغدادي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

# المحتويات

٧	الإهداء
٩	مقدمة
١١	تمهيد
١٥	الرحلة الأولى
٢٣	الرحلة الثانية
٣١	الرحلة الثالثة
٤١	الرحلة الرابعة
٥٣	الرحلة الخامسة
٦١	الرحلة السادسة
٧١	الرحلة السابعة



## الإهداء

وَلَدِي مُصْطَفَى:

قَرَأْتُ عَلَيْكَ هَذِهِ الْقِصَّةَ وَأَنْتَ تَسْتَقْبِلُ الْعَامَ السَّابِعَ مِنْ عُمْرِكَ فَأَعْجَبْتُكَ، وَرُحْتَ تَقْصُّهَا عَلَى أَقْرَانِكَ الصِّغَارِ لِيُشَارِكُوكَ فِي الْإِعْجَابِ بِهَا. فَأَعَدْتُ إِلَيَّ ذَاكِرَتِي عَهْدَ طُفُولَتِي الْمَحْبُوبِ، أَيَّامَ كُنْتُ أُصْغِي إِلَيَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الْقِصَّةِ بِشَوْقٍ وَشَغَفٍ شَدِيدَيْنِ.

وَذَكَرْتُ — إِلَى هَذَا — حَاجَةَ الْأَطْفَالِ إِلَى كُتُبٍ سَهْلَةٍ تُحَبِّبُ إِلَيْهِمُ الْقِرَاءَةَ وَتَدْفَعُهُمْ إِلَى الْإِسْتِرَادَةِ مِنْهَا، فَنَشَرْتُ لَهُمْ هَذِهِ الْقِصَّةَ الْمُتَمَنِّعَةَ، لِيَقْرَأَهَا كِبَارُهُمْ وَيَقْصُّهَا الْأَبَاءُ عَلَى صِغَارِهِمْ.

إِلَيْكَ إِذَنْ وَإِلَى أَتْرَابِكَ أُهْدِي هَذِهِ الْقِصَّةَ وَمَا يَتْلُوها مِنْ قِصَصٍ!

كامل كيلاني

ديسمبر سنة ١٩٢٨





## مقدمة

### بقلم كامل كيلاني

ديسمبر سنة ١٩٢٨

كِتَابُ «أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ» مِنْ أَنْفَسِ الدَّخَائِرِ الْأَدَبِيَّةِ، وَلَهُ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي تَنْمِيَةِ خَيَالِ الْكَثِيرِينَ مِنْ مُفَكِّرِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، وَلَكِنَّهُ — عَلَى نَفَاسَتِهِ — لَمْ يَلْقَ شَيْئًا مِمَّا هُوَ جَدِيرٌ بِهِ مِنَ الْعِنَايَةِ فِي الشَّرْقِ، وَلَعَلَّ إِهْمَالَهُ عِنْدَنَا رَاجِعٌ إِلَى أَسْبَابٍ ثَلَاثَةٍ وَهِيَ:

- (١) رِكَازَةُ الْأَسْلُوبِ فِي أَكْثَرِ قِصَصِهِ.
- (٢) ضَعْفُ الْخَيَالِ وَسُخْفُهُ فِي الْقَلِيلِ مِنْهَا.
- (٣) عَدَمُ تَحْلِيلَتِهِ بِالصُّورِ الَّتِي تُجَلِّي أَعْرَاضَهُ وَمَعَانِيَهُ كَمَا يَفْعَلُ الْفَرَنْجِيُّ.

وَلَمَّا كَانَ أَطْفَالُنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى كُتُبٍ عَرَبِيَّةٍ تُحِبُّ إِلَيْهِمُ الْمُطَالَعَةَ وَتَجْعَلُهُمْ يَقْبَلُونَ عَلَيْهَا بِشَعْفٍ، انْتَهَزْتُ فُرْصَةَ مِيلِهِمُ الْغُرَيْزِيِّ هَذَا إِلَى سَمَاعِ الْأَقَاصِيصِ، فَشَرَعْتُ فِي نَشْرِ طَائِفَةٍ صَالِحَةٍ مِنَ الْقِصَصِ الْمُخْتَارِ مِنْ «أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ» وَغَيْرِهَا، وَقَدْ عُنَيْتُ بِاخْتِيَارِ الصُّورِ عِنَايَتِي بِاخْتِيَارِ الْقِصَصِ، بَازِلًا كُلَّ مَا فِي وَسْعِي فِي انْتِقَاءِ أَسْهَلِ الْأَسَالِيبِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي يَفْهَمُهَا الْمُبْتَدِئُ بِنَفْسِهِ، أَوْ مَعَ قَلِيلٍ مِنَ الشَّرْحِ الَّذِي نَكَلُهُ إِلَى حَضْرَاتِ الْمُعَلِّمِينَ أَوْ الْآبَاءِ.

## السَّنَدِبَادُ الْبَحْرِيُّ

وَلَعَلَّ خَيْرَ مَا يَقُومُ بِهِ الْمَدْرَسُ لِلطَّالِبِ الْمُبْتَدِئِ — لِتَقْوِيَّتِهِ فِي الْإِنْشَاءِ — أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ  
أَمْثَالِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْمَشَوِّقَةِ، وَسِيلَةً إِلَى الْمُحَادَثَاتِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ يَخْتِمَهَا بِتَكْلِيفِ  
الطَّالِبِ صَوْغَ مَا فَهَمَهُ فِي عِبَارَةٍ عَرَبِيَّةٍ وَاضِحَةٍ.

هَذِهِ الطَّرِيقَةُ هِيَ أَوَّلُ مَرَاتِبِ الْإِنْشَاءِ، وَفِي هَذِهِ الْقِصَصِ عِبْرٌ يُمَكِّنُ الْمُعَلِّمَ أَنْ يَسْتَخْلِصَهَا  
بِسُهُولَةٍ لِتَلَامِيذِهِ، وَكَيْسَتْ حَاجَةُ الْبَنَاتِ إِلَى هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْقِصَصِ بِأَقْلٍ مِنْ حَاجَةِ الْبَنِينَ،  
وَقَفْنَا اللَّهُ إِلَى الْخَيْرِ وَالْأَهْمَنَّا الرُّشْدَ وَالسَّادَاتِ.

## تمهيد

### (١) الِهْنْدَبَادُ الْحَمَالُ

كَانَ بِمَدِينَةِ «بَغْدَادَ» — فِي زَمَنِ الْخَلِيفَةِ «هَارُونَ الرَّشِيدِ» — حَمَالٌ فَقِيرٌ، اسْمُهُ «الِهْنْدَبَادُ». فِي ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ، جَلَسَ «الِهْنْدَبَادُ» تَحْتَ قَصْرِ عَالٍ تُحِيطُ بِهِ حَدِيقَةٌ جَمِيلَةٌ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَاءِ السَّيْرِ، بَعْدَ أَنْ أَنَّهُكَّهُ التَّعَبُ وَالْحَرُّ الشَّدِيدُ، وَوَضَعَ — إِلَى جَانِبِهِ — جَمَلَهُ الثَّقِيلَ.

فَسَرَى إِلَيْهِ مِنَ الْحَدِيقَةِ نَسِيمٌ لَطِيفٌ حَمَلَ إِلَيْهِ رَائِحَةَ الْأَزْهَارِ الْعَطِرَةِ، وَهَبَّتْ عَلَيْهِ — مِنْ نَاحِيَةِ الْقَصْرِ — رَائِحَةُ الشُّوَاءِ اللَّذِيذِ، وَالْأَطْعَمَةِ الشَّهِيَةِ. وَسَمِعَ «الِهْنْدَبَادُ» الطُّيُورَ تُغَرِّدُ — عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا — فَوْقَ الْأَشْجَارِ، كَمَا سَمِعَ أَصْوَاتَ الْغِنَاءِ وَأَنْعَامِ الْمَوْسِيقَى الْمُطْرِبَةِ فِي ذَلِكَ الْقَصْرِ، فَخَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّ أَصْحَابَهُ فِي عُرْسٍ.

### (٢) صَاحِبُ الْقَصْرِ

وَذَهَبَ «الِهْنْدَبَادُ» إِلَى أَحَدِ الْخَدَمِ فَرَأَهُ لَا يَسَا أَبْهَى الْمَلَابِسِ وَأَحْسَنَهَا، وَلَمَّا سَأَلَهُ عَنِ اسْمِ صَاحِبِ هَذَا الْقَصْرِ الْبَدِيعِ قَالَ لَهُ الْخَادِمُ مَدْهُوشًا: «كَيْفَ تَسْأَلُ هَذَا السُّؤَالَ؟ أَيْ «بَغْدَادَ» كُلُّهَا مَنْ يَجْهَلُ «السَّنْدَبَادَ الْبَحْرِيَّ» — صَاحِبَ هَذَا الْقَصْرِ — الَّذِي مَلَأَتْ شُهْرَتُهُ الْأَفَاقَ، وَالَّذِي رَكِبَ الْبِحَارَ، وَجَابَ الْأَقْطَارَ وَرَأَى عَجَائِبَ الدُّنْيَا؟»

(٣) شَكْوَى الْهَنْدِبَادِ الْحَمَالِ

ثُمَّ عَادَ الْحَمَالُ إِلَى مَكَانِهِ فَجَلَسَ يُفَكِّرُ فِي هَذَا النَّعِيمِ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَسْمَعُ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ بِمَا نَالَهُ «السُّنْدِبَادُ» مِنْ ثَرْوَةٍ طَائِلَةٍ.



وَنظَرَ «الْهَنْدِبَادُ الْحَمَالُ» إِلَى جَمَالِ الْحَدِيقَةِ وَفَخَامَةِ الْقَصْرِ وَوَفْرَةَ مَا يَحْوِيهِ مِنْ غِنَى وَنِعْمَةٍ، وَرَأَى مَا هُوَ فِيهِ مِنْ بُؤْسٍ وَشَقَاءٍ، فَصَاحَ غَاضِبًا: «سُبْحَانَكَ رَبِّي تُغْنِي مَنْ تَشَاءُ، وَتُفْقِرُ مَنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، فَأَنَا أَتَحْمَلُ الْهُمُومَ وَالْآلَامَ، وَأُقَاسِي الْمَتَاعِبَ وَالْأَهْوَالَ لِلْحُصُولِ عَلَى قُوَّتِي وَقُوَّتِ عِيَالِي، بَيْنَمَا يَنْعَمُ «السُّنْدِبَادُ» بِهَذَا الْقَصْرِ الْفَخْمِ وَمَا يَحْوِيهِ مِنْ ثَرْوَةٍ وَنَعِيمٍ، دُونَ أَنْ يَتَكَبَّدَ أَيَّ عَنَاءٍ! فَمَاذَا صَنَعَ «السُّنْدِبَادُ» حَتَّى اسْتَحَقَّ هَذِهِ النُّعْمَةَ؟ وَمَاذَا فَعَلْتُ أَنَا حَتَّى كُتِبَ عَلَيَّ هَذَا الشَّقَاءُ؟

أُعِيشُ شَقِيًّا وَقَدْ زَادَ حِمْلِي      أُلْصِبحُ فِي تَعَبٍ دَائِمٍ  
وَمَا حَمَلَ الدَّهْرَ يَوْمًا كَحِمْلِي؟      وَغَيْرِي سَعِيدٌ — بِلَا شِقْوَةٍ —

وَبَيْنَمَا «الْهَنْدِبَادُ» مُسْتَعْرِقٌ فِي هَذِهِ التَّأْمَلَاتِ إِذْ خَرَجَ مِنَ الْقَصْرِ حَادِمٌ يَدْعُوهُ إِلَى مُقَابَلَةِ سَيِّدِهِ، فَحَشِيَ الْحَمَالُ عَاقِبَةَ الْأَمْرِ، وَأَدْرَكَ أَنَّ «السُّنْدِبَادَ» قَدْ سَمِعَ — بِلَا شَكٍّ — كُلَّ مَا

قَالَ، فَأَعْتَدَرَ إِلَى الْخَادِمِ مُحَاوِلًا أَنْ يُفْلِتَ مِنْ يَدِهِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، فَذَهَبَ مَعَهُ خَائِفًا يَتَوَقَّعُ الشَّرَّ.

#### (٤) فِي حَضْرَةِ السُّنْدِبَادِ

وَسَارَ الْحَمَالُ مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ غُرْفَةً فَخَمَةً، فِي وَسْطِهَا مَائِدَةٌ حَوَتْ مَا لَدَّ مِنْ أَطْيَبِ الْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ وَالْفَاكِهَةِ وَالنُّقْلِ، وَرَأَى جَمَاعَةً مِنْ سَرَاةِ الْقَوْمِ، كَمَا رَأَى فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ رَجُلًا حَسَنَ الصُّورَةِ جَلِيلَ الْقَدْرِ مَهِيْبَ الطَّلَعِ وَقَدْ بَدَأَ فِي لِحْيَتِهِ الشَّيْبُ، فَعَرَفَ أَنَّهُ «السُّنْدِبَادُ» صَاحِبُ الْقَصْرِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ — وَهُوَ مُنْكَسِرٌ رَأْسُهُ مِنْ شِدَّةِ الْخَجَلِ — فَهَشَّ إِلَيْهِ «السُّنْدِبَادُ» وَقَرَّبَهُ مِنْهُ حَتَّى أَذْهَبَ عَنْهُ خَوْفُهُ، وَدَعَاهُ إِلَى الطَّعَامِ فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ. فَسَأَلَهُ «السُّنْدِبَادُ الْبَحْرِيُّ» عَنْ اسْمِهِ وَصِنَاعَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «أَعِدْ عَلَيَّ الْآنَ مَا كُنْتُ تَقُولُهُ — مُنْذُ زَمَنٍ يَسِيرٍ — تَحْتَ الْقَصْرِ!»

هُنَالِكَ ارْتَبَكَ «الْهَنْدِبَادُ» الْحَمَالُ وَبَدَتْ عَلَيْهِ دَلَائِلُ الْحَيْرَةِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَعذَرَةٌ يَا سَيِّدِي، فَقَدْ دَفَعَنِي مَا أَعَانِيهِ مِنَ الْفَقْرِ، وَمَا أَكَابِدُهُ مِنَ الْمَتَاعِ، إِلَى التَّقْوهِ بِمَا قُلْتُ، فَتَجَاوَزُ عَنْ إِسَاءَتِي وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا فَرَطَ مِنِّي!»

فَقَالَ لَهُ «السُّنْدِبَادُ»: «إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أُؤَاخِذَكَ بِشَيْءٍ مِمَّا قُلْتَ، وَإِنَّمَا أَشْفَقْتُ عَلَيْكَ وَرَتَيْتُ لَكَ، وَقَدْ صرْتُ لِي — مُنْذُ الْيَوْمِ — أَخًا وَصَدِيقًا، وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُبَيِّنَ لَكَ حَقِيقَةَ غَابَتِ عَنكَ، وَأُزِيلَ مَا عَلِقَ بِذَهْنِكَ مِنَ الْوَهْمِ، فَقَدْ ظَنَنْتَ أَنَّ هَذِهِ الثَّرْوَةَ الطَّائِلَةَ قَدْ جَاءَتْني دُونَ مَشَقَّةٍ أَوْ عَنَاءٍ، مَعَ أَنَّي لَمْ أَحْصِلْ عَلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ قَاسَيْتُ مِنَ الْمَصَاعِبِ وَلَاقَيْتُ مِنَ الْأَهْوَالِ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ الْوَصْفُ.

وَسَأَقُصُّ عَلَيْكَ مَا حَدَّثَ لِي فِي أَسْفَارِي السَّبْعَةِ، وَمَا تَعَرَّضْتُ لَهُ مِنَ الْمَهَالِكِ وَالْمَخَاطِرِ الَّتِي تَشِيْبُ مِنْ هَوْلِهَا الْوِلْدَانَ، لِتُدْرِكَ بِنَفْسِكَ مِقْدَارَ مَا عَانَيْتُ مِنَ الْمَتَاعِ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى هَذِهِ السَّعَادَةِ الَّتِي تَرَاهَا وَتَعْجَبُ مِنْهَا.»

## أَسْئَلَةٌ

أتينا بهذه الأسئلة لتكون نموذجا لحضرات المدرسين ينسجون على منواله فيما يلي:

- (س١) ما اسم الحمال؟
- (س٢) في أي بلد كان يقيم؟
- (س٣) في زمن أي خليفة؟
- (س٤) ما اسم صاحب القصر؟
- (س٥) ماذا قال الخادم حين سأله الحمال عن اسم صاحب القصر؟
- (س٦) ماذا قال الحمال حين رأى فخامة القصر وجمال الحديقة؟
- (س٧) ماذا رأى الحمال في غرفة السندباد؟
- (س٨) كيف سلم عليه الحمال؟
- (س٩) كيف قابله السندباد؟
- (س١٠) هل وصل السندباد إلى هذه الثروة الطائلة بلا عناء؟
- (س١١) من الذي ظن ذلك؟
- (س١٢) ومن الذي بين هذا الخطأ؟
- (س١٣) اكتب خلاصة وجيزة لهذه القصة.

## الرحلة الأولى

على ظهر حوت

### (١) السُّنْدِبَادُ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ

كَانَ أَبِي مِنْ كِبَارِ تَجَارِ «بَعْدَانَ»، فَلَمَّا مَاتَ تَرَكَ لِي نَزْوَةً طَائِلَةً — وَكُنْتُ حِينئِذٍ شَابًا طَائِلًا — فَأَخَذْتُ أَنْفِقَ عَلَى نَفْسِي وَعَلَى أَصْحَابِي — عَنْ سَعَةٍ — مِنْ هَذَا الْمَالِ الَّذِي لَمْ أَتَكَبَّدْ فِي جَمْعِهِ أَيَّ عَنَاءٍ، وَظَلَلْتُ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً مِنَ الزَّمَنِ، دُونَ أَنْ أَتَدَبَّرَ عَوَاقِبَ هَذَا الْإِسْرَافِ.

ثُمَّ انْتَبَهْتُ مِنْ غَفْلَتِي — ذَاتَ يَوْمٍ — فَرَأَيْتُ مَالِي لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَعَلِمْتُ أَنَّي — إِذَا ظَلَلْتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ — ضَاعَ كُلُّ مَا أَمْلِكُ، وَكَانَ عَاقِبَتِي الْإِفْلَاسُ وَالْحَرَابُ. وَرُبَّمَا اضْطُرَرْتُ إِلَى سُؤَالِ النَّاسِ. فَجَزَعْتُ مِنْ هَذِهِ الْعَاقِبَةِ السَّيِّئَةِ، وَقُلْتُ لِنَفْسِي: «إِنَّ الْفَقْرَ — فِي آخِرِ أَيَّامِ الْإِنْسَانِ — وَاحْتِمَالُ ذَلِكَ السُّؤَالِ، مِمَّا لَا تَرْضَاهُ نَفْسُ الْكَرِيمِ، وَإِنَّ الْكَسَلَ مِفْتَاحَ الْفَقْرِ» وَذَكَرْتُ تِلْكَ الْحِكْمَةَ الصَّادِقَةَ الَّتِي يَقُولُهَا النَّاسُ: «مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَمْوَالَ لَمْ يَنْلِ الرَّغَائِبَ» فَعَزَمْتُ عَلَى السَّفَرِ، وَبِعْتُ كُلَّ مَا بَقِيَ لَدَيَّ مِنْ مَتَاعٍ، وَاشْتَرَيْتُ بِنَمْنِهِ بَضَائِعَ أَتَّجِرُ فِيهَا، وَسَافَرْتُ — مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّجَارِ — مِنْ مَدِينَةِ «بَعْدَانَ» حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةِ «الْبَصْرَةِ» حَيْثُ أَقْلَعْتُ بِنَا سَفِينَةً كَبِيرَةً، وَسَارَتْ فِي طَرِيقِ الْخَلِيجِ الْفَارِسِيِّ.



## (٢) دُورُ الْبَحْرِ

وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ أَوَّلَ رَحَلَةٍ لِي، فَلَمْ أَكُذْ أَرْكَبُ الْبَحْرَ حَتَّى اعْتَرَانِي دُورٌ أَفْقَتْ مِنْهُ بَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ أَلْفَتْ هَوَاءَ الْبَحْرِ — بَعْدَ ذَلِكَ — وَعَادَتْ إِلَيَّ صِحَّتِي. وَظَلَّتِ السَّفِينَةُ سَائِرَةً بِنَا مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ، وَمِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَنَحْنُ نَبِيعُ وَنَشْتَرِي فِي كُلِّ مَكَانٍ حَلْلَنَا بِهِ.

## (٣) عَلَى ظَهْرِ حُوتٍ

وَبَيْنَمَا نَحْنُ سَائِرُونَ فِي عَرْضِ الْبَحْرِ، إِذْ لَاحَتْ لَنَا جَزِيرَةٌ صَغِيرَةٌ مُرْتَفَعَةٌ عَنْ سَطْحِ الْمَاءِ فَأَقْتَرَبْنَا مِنْهَا، وَنَزَلْنَا بِهَا بَعْضُ التُّجَّارِ — وَنَزَلَتْ مَعَهُمْ — وَبَقِينَا عَلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ زَمَنًا وَنَحْنُ نَلْهُو وَنَلْعَبُ حَتَّى جَاءَ وَقْتُ الْعَدَاءِ، فَأَتَيْنَا بِخُشْبٍ مِنَ السَّفِينَةِ وَأَوْقَدْنَا بِهَا النَّارَ لِنَطْبِخَ عَلَيْهَا طَعَامَنَا، وَلَمْ نَكُذْ نُوقِدُ النَّارَ حَتَّى اهْتَزَّتْ بِنَا الْجَزِيرَةُ اهْتِزَازًا عَنيفًا، فَصَرَّخْنَا مِنَ الْفَزَعِ وَالرُّعْبِ وَصَاحَ بِنَا رُبَّانُ السَّفِينَةِ: «أُنْجُوا بِأَنْفُسِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ بِكُمْ الْهَلَاكُ!»

وَلَمْ يَكُذْ يَتِمُّ قَوْلُهُ حَتَّى غَاصَتِ الْجَزِيرَةُ كُلُّهَا فِي الْبَحْرِ مَرَّةً وَاحِدَةً، فَأَسْرَعَ إِلَى السَّفِينَةِ مَنْ كَانَ قَرِيبًا مِنْهَا فَنَجَا وَغَرِقَ الْبَاقُونَ.

## (٤) حَقِيقَةُ الْجَزِيرَةِ

وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ جَزِيرَةً — كَمَا حَسَبْنَا — بَلْ حُوتًا هَائِلًا مِنْ حَيْثَانِ الْبَحْرِ كَانَ نَائِمًا عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ، فَلَمَّا أَوْقَدْنَا عَلَيْهِ النَّارَ أَحَسَّ الْحَرَارَةَ فَاسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَغَاصَ فِي الْبَحْرِ، فَنَجَا مَنْ نَجَا وَغَرِقَ مَنْ غَرِقَ.

## (٥) كَيْفَ نَجَوْتُ مِنَ الْغَرَقِ

أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ بَعِيدًا عَنِ السَّفِينَةِ فَلَمْ أَتَمَكَّنْ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا وَقَدْ كِدْتُ أَغْرُقُ لَوْ لَمْ أَتَعَلَّقُ بِلَوْحٍ مِنَ الْحَسَبِ الَّذِي أَتَيْنَا بِهِ مِنَ السَّفِينَةِ لِلْوُقُودِ، وَنَادَيْتُ مَنْ فِي السَّفِينَةِ بِأَعْلَى صَوْتِي فَلَمْ يَسْمَعْنِي أَحَدٌ لِشِدَّةِ مَا لِحِقَهُمْ مِنَ الرُّعْبِ.

وَرَأَيْتُ السَّفِينَةَ تَخْتَفِي عَن نَاطِرِي، وَقَدْ أَصْبَحْتُ تَحْتَ رَحْمَةِ الْأَمْوَاجِ الْهَائِجَةِ،  
وَالْعَرَقُ يَهْدِدُنِي فِي كُلِّ لَحْظَةٍ.  
وَلَمَّا أَظْلَمَ اللَّيْلُ أَيَقَنْتُ بِالْهَلَاكِ، وَلَكِنِّي لَمْ أَيْسُرْ رَعْمَ مَا حَلَّ بِي مِنَ التَّعَبِ  
وَالْخَوْفِ، وَبَقَيْتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ طُولَ اللَّيْلِ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ قَدَفْتَنِي الْأَمْوَاجُ إِلَى  
شَاطِئِ جَزِيرَةٍ عَالِيَةٍ فِيهَا أَشْجَارٌ مُطَلَّةٌ عَلَى الْبَحْرِ، وَقَدْ وَجَدْتُ — لِحُسْنِ حَظِّي — فَرَعَ  
شَجَرَةٍ مُتَدَلِّيًا، فَتَعَلَّقْتُ بِهِ وَتَمَكَّنْتُ بِذَلِكَ مِنَ الصُّعُودِ إِلَى الْجَزِيرَةِ بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ.



وَلَمْ أَكُذْ أَصْعَدُ إِلَيْهَا حَتَّى ارْتَمَيْتُ عَلَى أَرْضِهَا — وَأَنَا مَهْزُوكُ الْقُوَى مِنْ شِدَّةِ مَا  
لَقَيْتُ — وَبَقَيْتُ نَائِمًا طُولَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، ثُمَّ أَفَقْتُ مِنْ نَوْمِي فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ،  
وَكَانَتْ قَدَمَايَ قَدْ وَرِمَتَا وَلَكِنِّي لَمْ أَعْبَأُ بِذَلِكَ، فَمَشَيْتُ مُنَوَكِّئًا عَلَى عَصَا قَطَعْتُهَا مِنْ  
غُصْنِ شَجَرَةٍ، وَسِرْتُ أَبْحَثُ عَن طَعَامٍ أَكُلُهُ وَقَدْ كَادَ يُهْلِكُنِي الْجُوعُ.

عَلَى أَنْنِي وَجَدْتُ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ كَثِيرًا مِّنَ الْبُقُولِ النَّاضِجَةِ وَرَأَيْتُ فِيهَا عَيْنًا مِّنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ، فَفَرِحْتُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَأَكَلْتُ حَتَّى شَبِعْتُ، وَشَرِبْتُ حَتَّى ارْتَوَيْتُ!

## (٦) خَدَمُ الْمَهْرَاجَا

وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ زَالَ مَا بِي مِنْ ضَعْفٍ، وَعَادَ إِلَيَّ نَشَاطِي الْأَوَّلِ فَرِحْتُ أَمْشِي فِي الْجَزِيرَةِ، وَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ، إِذْ لَاحَ لِي شَبْحٌ مِنْ بَعِيدٍ، فَسِرْتُ إِلَيْهِ حَتَّى اقْتَرَبْتُ مِنْهُ فَإِذَا بِهِ فَرَسٌ تَرَعَى الْعُشْبَ — وَهِيَ مُقْبِدَةٌ — وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَ رِجَالٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي سَرْدَابٍ تَحْتَ الْأَرْضِ فَدَهَشْتُ لِذَلِكَ، وَإِنِّي لَفِي دَهْشَتِي إِذْ أَقْبَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ لَا أَعْرِفُهُ، فَسَأَلَنِي عَنْ سَبَبِ مَجِيئِي إِلَى هَذَا الْمَكَانِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِقِصَّتِي فَدَهَشَ لَهَا، وَذَهَبَ بِي إِلَى السَّرْدَابِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، فَرَأَيْتُ جَمَاعَةً يَنْتَظِرُونَهُ فِيهِ، فَقَصَّ عَلَيْهِمْ قِصَّتِي، وَقَدَّمُوا إِلَيَّ طَعَامًا وَشَرَابًا فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ. ثُمَّ سَأَلْتُهُمْ عَنْ سَبَبِ مَجِيئِهِمْ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَاخْتِفَائِهِمْ فِي هَذَا السَّرْدَابِ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّهُمْ خَدَمُ الْمَلِكِ «الْمَهْرَاجَا» صَاحِبِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ، وَأَنَّهُ يُوفِدُهُمْ — فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنْ كُلِّ عَامٍ — وَمَعَهُمْ بَعْضُ أَفْرَاسِهِ لِتَرَعَى فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْهَا حِصَانُ الْبَحْرِ فَتَحْمِلَ مِنْهُ، فَإِذَا حَاوَلَ أَخْذَهَا مَعَهُ، خَرَجُوا عَلَيْهِ مِنَ السَّرْدَابِ فَيَفِرُّ مِنْهُمْ هَارِبًا إِلَى الْبَحْرِ، ثُمَّ يَعُودُونَ بِهَا إِلَى بِلَادِهِمْ حَيْثُ تَلِدُ مُهْرًا أَصِيلًا عَدِيمَ الْمِثَالِ!

## (٧) حِصَانُ الْبَحْرِ

وَهُنَا سَمِعْنَا صُرَاخَ حِصَانِ الْبَحْرِ، فَنَظَرْنَا مِنْ ثُقْبِ السَّرْدَابِ، فَرَأَيْنَاهُ يُحَاوِلُ أَخْذَ الْفَرَسِ مَعَهُ بِقُوَّةٍ، فَطَلَعَ عَلَيْهِ الرَّجَالُ مِنَ السَّرْدَابِ، فَلَمَّا رَأَهُمْ وَلَّى هَارِبًا إِلَى الْبَحْرِ.

## (٨) فِي حَضْرَةِ الْمَهْرَاجَا

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ أَرْكَبُونِي مَعَهُمْ، وَمَا زِلْنَا سَائِرِينَ حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ حَيْثُ قَدَّمُونِي إِلَى مَلِكِهِمْ «الْمَهْرَاجَا» فَسَأَلَنِي عَنْ قِصَّتِي فَأَخْبَرْتُهُ بِكُلِّ مَا حَدَّثَ لِي، فَدَهَشَ لِذَلِكَ أَشَدَّ دَهْشَةً، وَسَرَّ بِي سُورًا عَظِيمًا، وَأَكْرَمَنِي وَقَرَّبَنِي إِلَيْهِ.



### (٩) عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ

وَكَانَ لِهَذَا الْبَلَدِ مَرْفَأً تَرَسُو عَلَيْهِ السُّفُنُ التِّجَارِيَّةَ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مُخْتَلَفِ بِلَادِ الدُّنْيَا، فَكُنْتُ أَكْثَرَ مَنْ التَّرَدُّدِ عَلَيْهِ مُسَائِلًا الْوَافِدِينَ عَنْ أَحْبَارِ «بُعْدَانَ» دُونَ أَنْ أَظْفَرَ مِنْهُمْ بِطَائِلٍ، وَمَضَى عَلَى ذَلِكَ زَمَنٌ طَوِيلٌ، فَمَلَلْتُ الْعُرْبَةَ وَاشْتَأَقْتُ نَفْسِي إِلَى رُؤْيَةِ وَطَنِي وَأَهْلِي.

### (١٠) عَجَائِبُ الْهِنْدِ

وَكَنْتُ أَخْرُجُ أحيانًا إِلَى بَعْضِ الْجَزَائِرِ الْقَرِيبَةِ فَأَرَى فِيهَا عَجَائِبَ وَغَرَائِبَ كَثِيرَةً. وَمِنْ أَعْجَبِ مَا رَأَيْتُهُ سَمَكٌ كَبِيرٌ يَبْلُغُ طَوْلُهُ مِائَةَ ذِرَاعٍ إِلَى مِائَتَيْنِ، وَلَهُ وَجْهٌ كَوَجْهِ الْبُومِ، وَقَدْ نَفَرْتُ مِنْهُ كَمَا نَفَرَ مِنِّي، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ ارْتَاعَ مِنْ رُؤْيَتِي كَمَا ارْتَعَتْ مِنْ رُؤْيَتِهِ.

(١١) اللَّقَاءُ بَعْدَ الْيَأْسِ

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ خَرَجْتُ كَعَادَتِي إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، فَرَأَيْتُ سَفِينَةً مُقْبِلَةً، وَلَمَّا رَسَتْ عَلَى الشَّاطِئِ وَأَنْزَلَتْ مَا بِهَا مِنَ الْبَضَائِعِ رَأَيْتُ عَلَى بَعْضِ أَحْمَالِهَا اسْمَ «السَّنْدِبَادِ» فَلَمَّا أَنْعَمْتُ النَّظَرَ فِي رُبَائِحِهَا عَرَفْتُهُ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ صَاحِبِ هَذِهِ الْأَحْمَالِ فَأَجَابَنِي مُتَأَثِّرًا حَزِينًا: «وَأَسَفًا عَلَيْهِ! إِنَّهُ «السَّنْدِبَادُ» وَقَدْ غَرِقَ أَثْنَاءَ سَفَرِنَا، وَكَانَ سَبَبَ غَرَقِهِ أَنَّهُ طَلَعَ — مَعَ بَعْضِ رِفَاقِهِ مِنَ التُّجَّارِ — عَلَى ظَهْرِ حُوتٍ كَبِيرٍ، كُنَّا نَحْسِبُهُ جَزِيرَةً، فَلَمَّا غَاصَ الْحُوتُ غَرِقُوا وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَرْكَبِ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا. وَقَدْ أَخَذْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ أُبِيعَ بَضَائِعُهُ وَأُعْطِيَ أَهْلُهُ تَمَنُّهَا مَتَى عُدْتُ إِلَى «بُعْدَانَ».



فَقُلْتُ لِرُبَّانِ السَّفِينَةِ: «أَنَا السَّنْدِبَادُ الَّذِي تَذَكَّرُهُ وَهَذِهِ بَضَاعَتِي!»

فَصَاحَ الرُّبَّانُ فِي وَجْهِهِ صَيْحَةً عَظِيمَةً، وَقَالَ لِي غَاضِبًا: «أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ فَسَدَتِ الدِّمَمُ وَضَاعَتِ الْأَمَانَةُ مِنَ النَّاسِ! كَيْفَ تَدَّعِي أَنَّكَ «السَّنْدِبَادُ» وَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعَيْنِي وَهُوَ يَغْرُقُ فِي الْبَحْرِ؟»  
فَقُلْتُ لَهُ: «لَا تَغْضَبْ عَلَيَّ، وَلَا تَعْجَلْ بِتَكْذِيبِ مَا أَقُولُ.»

ثُمَّ قَصَصْتُ عَلَيْهِ كُلَّ مَا حَدَّثَ لِي، وَذَكَرْتُ لَهُ جَمِيعَ مَا دَارَ بَيْنَنَا مِنَ الْكَلَامِ — مُنْذُ خَرَجْنَا مِنَ «الْبَصْرَةِ» إِلَى أَنْ غَاصَ بِنَا الْهُوتُ — فَظَهَرَ لَهُ صِدْقُ قَوْلِي، وَفَرِحَ بِنَجَاتِي فَرَحًا شَدِيدًا وَعَانَقَنِي، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَفَاقِي يُهْنِئُونَنِي بِسَلَامَتِي وَنَجَاتِي مِنَ الْعَرَقِ. ثُمَّ شَكَرْتُ لِلرُّبَّانِ أَمَانَتَهُ وَأَرَدْتُ أَنْ أَكْفِئَهُ عَلَى صَنِيعِهِ فَرَفَضَ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنِّي شَيْئًا.

## (١٢) الْعُودَةُ إِلَى الْوَطَنِ

فَتَحَرَّيْتُ هَدِيَّةً نَفِيسَةً قَدَّمْتُهَا إِلَى «الْمَهْرَاجَا» فَسَأَلَنِي: «مِنْ أَيْنَ أَحْضَرْتَهَا؟» فَأَحْبَرْتُهُ بِمَا حَدَّثَ، فَتَبَيَّنَ لَهُ صِدْقُ كَلَامِي وَقَبِلَ هَدِيَّتِي مُسْرورًا، ثُمَّ أَمَرَ لِي بِهَدِيَّةٍ ثَمِينَةٍ.  
وَلَمَّا اسْتَأْذَنْتُهُ فِي السَّفَرِ أَدْنَى لِي — بَعْدَ أَنْ أَظْهَرَ لِي أَسْفَهُ عَلَى فِرَاقِي — فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ شَاكِرًا، وَبِعْتُ فِي بَلَدِهِ كُلَّ مَا مَعِيَ مِنَ الْبَضَائِعِ بِأَعْلَى ثَمَنِ، وَأَشْتَرَيْتُ بِدَلَّهَا بَضَائِعَ أُخْرَى.  
وَعُدْتُ إِلَى بِلَادِي بِأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ، بَعْدَ أَنْ سَارَ بِنَا الْمَرْكَبُ أَمِنًا، وَكَانَ الْبَحْرُ هَادِئًا وَالرِّيْحُ طَيِّبَةً فَلَمْ نَلُقْ أَيَّ عَنَاءٍ فِي سَفَرِنَا حَتَّى بَلَّغْنَا «الْبَصْرَةَ».

## (١٣) فِي بَعْدَادَ

ثُمَّ نَهَبْنَا مِنَ «الْبَصْرَةِ» إِلَى «بَعْدَادَ» حَيْثُ لَقِيَنِي أَهْلِي فَرَجِحِينَ بِعُودَتِي سَالِمًا، وَأَشْتَرَيْتُ قُصُورًا فَخْمَةً وَعَيْبِدًا وَعُلَمَانًا كَثِيرِينَ، وَأَصْبَحْتُ مِنْ أَكْبَرِ أَعْيَانِ «بَعْدَادَ»، وَتَصَدَّقْتُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَعَزَمْتُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي بَلَدِي بَعِيدًا عَنِ مَشَقَّاتِ السَّفَرِ وَأَهْوَالِ الْبَحْرِ، وَأَنْسَتَنِي رَاحَةُ الْبَالِ مَا قَاسَيْتُهُ مِنَ الْمَتَاعِبِ وَالْأَهْوَالِ.

(١٤) دَهْشَةُ الْحَاضِرِينَ

وَلَمَّا انْتَهَى «السُّنْدِبَادُ» مِنْ كَلَامِهِ، التَفَتَ إِلَى «الْهَنْدِبَادِ» الْحَمَّالِ وَقَالَ لَهُ مُبْتَسِمًا: «هَذَا مَا حَدَّثَ لِي فِي الرَّحْلَةِ الْأُولَى وَسَأُخْبِرُكَ غَدًا بِمَا حَدَّثَ لِي فِي رِحْلَتِي الثَّانِيَةِ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِيهَا مِنْ الْعَجَائِبِ!»

فَدُهَشَ «الْهَنْدِبَادُ الْحَمَّالُ» وَعَجِبَ جَمِيعُ الْحَاضِرِينَ مِمَّا سَمِعُوا. ثُمَّ أَمَرَ «السُّنْدِبَادُ» بِمِائَةِ دِينَارٍ لِلْحَمَّالِ وَكَسَاهُ حُلَّةً نَفِيسَةً، فَدَعَا لَهُ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ شَاكِرًا مَسْرُورًا، وَخَرَجَ مَعَهُ جَمِيعُ الْحَاضِرِينَ عَلَى أَنْ يَعُودُوا إِلَى «السُّنْدِبَادِ» فِي الْغَدِ.



وَلَمَّا حَضَرُوا فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ بَدَأَ «السُّنْدِبَادُ» يَقُصُّ عَلَيْهِمْ رِحْلَتَهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ.

## الرحلة الثانية

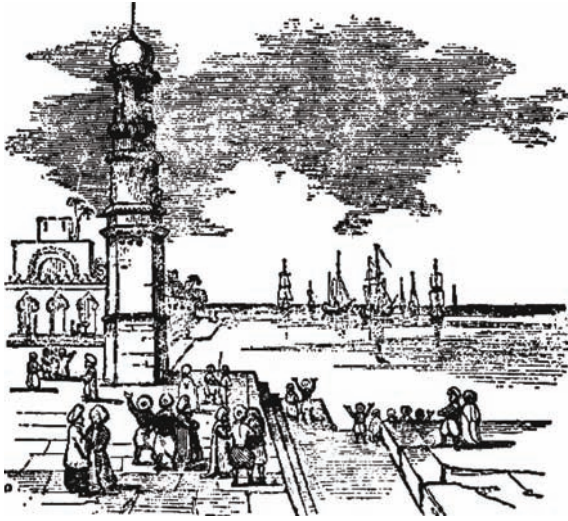
في وادي الأفاعي

### (١) كَيْفَ نَسِينِي رِفاقي

حَدَّثْتُمْ أَمْسِ أَنِّي عَزَمْتُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي «بُعْدَادَ» طُولَ حَيَاتِي هَادِيءِ الْبَالِ حَتَّى لَا أُعْرِضَ نَفْسِي مَرَّةً أُخْرَى لِمَخَاطِرِ السَّفَرِ وَمَخَاوِفِهِ، وَلِكِنِّي — بَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ — ضَجِرْتُ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ الْهَادِيَّةِ، وَمَلِئْتُ عَيْشَةَ الْكَسَلِ، وَاشْتَقْتُ إِلَى السَّفَرِ وَرُكُوبِ الْبَحْرِ، فَاشْتَرَيْتُ بَضَائِعَ كَثِيرَةً، وَسَافَرْتُ مِنْ «بُعْدَادَ» إِلَى «الْبَصْرَةَ» حَيْثُ أُبْحَرْتُ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ التُّجَّارِ وَسَارَتْ بِنَا السَّفِينَةَ مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ وَمِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَكَانَتْ تِجَارَتُنَا رَاحَةً حَتَّى بَلَّغْنَا جَزِيرَةً كَبِيرَةً، جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ، فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالْفَاكِهَةِ تَتَخَلَّلُهَا الْجَدَاوِلُ وَالْأَنْهَارُ.

فَنَزَلْنَا بِهَا فَلَمْ نَجِدْ فِيهَا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، فَأَكَلْنَا مِنْ فَاكِهَتِهَا وَشَرَبْنَا مِنْ مَائِهَا الْعَذْبِ، ثُمَّ ذَهَبَ أَصْحَابِي يَجُولُونَ فِي الْجَزِيرَةِ وَجَلَسْتُ مُنْفَرِدًا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ، وَأَمَامِي جَدُولٌ مِنَ الْمَاءِ عَلَى جَانِبَيْهِ الْأَزْهَارُ، فَأَخَذْتَنِي سِنَّةٌ مِنَ النَّوْمِ — وَلَمْ أَعْلَمْ كَمْ سَاعَةً نِمْتُ — وَمَا كِدْتُ أَسْتَيْقِظُ حَتَّى تَمَلَّكَنِي الرَّعْبُ وَالْفَرَعُ، فَقَدْ بَحَثْتُ عَنْ رِفاقي فَلَمْ أَعثرُ لَهُمْ عَلَى أَثَرٍ!





هُنَالِكَ عَلِمْتُ أَنَّ السَّفِينَةَ قَدْ أَقْلَعَتْ بِهِمْ دُونَ أَنْ يَنْتَبِهَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى غِيَابِي، فَأَسْرَعْتُ إِلَى الشَّاطِئِ — وَأَنَا كَالْمَجْنُونِ لِشِدَّةِ مَا لَحِقَنِي مِنَ الْجَزَعِ وَالْيَأْسِ — وَرَأَيْتُ السَّفِينَةَ تَغِيبُ عَنْ نَاطِرِي شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى اخْتَفَتْ، فَصَرَخْتُ مِنَ الْأَلَمِ وَتَمَلَّكَنِي الْيَأْسُ وَالْفَزَعُ فَوَقَعْتُ عَلَى الْأَرْضِ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، وَبَقَيْتُ كَذَلِكَ زَمَنًا طَوِيلًا، وَلَمَّا أَقْفْتُ أَخَذْتُ الْوَمُ نَفْسِي عَلَى هَذِهِ الرَّحْلَةِ الْمَشْؤُومَةِ أَشَدَّ اللَّوْمِ وَأَنْدَمْتُ عَلَى سَفَرِي أَشَدَّ النَّدَمِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ لَوْمٌ وَلَا نَدَمٌ!

## (٢) بَيِّضَةُ الرُّحِّ

وَتَلَفَّتُ حَوْلِي فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا، فَتَسَلَّقْتُ شَجَرَةً عَالِيَةً وَرَمَيْتُ بِبَصْرِي فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاجِي الْبَحْرِ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا غَيْرَ الْمَاءِ وَالسَّمَاءِ، وَدُرْتُ بِبَصْرِي فِي الْجَزِيرَةِ، فَرَأَيْتُ — عَلَى بُعْدٍ — قُبَّةً بَيِّضَاءَ عَالِيَةً تَلْمَعُ لَمَعَانًا شَدِيدًا فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ، فَانزَلْتُ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَجَرَيْتُ إِلَيْهَا بِكُلِّ قُوَّتِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهَا فَرَأَيْتُهَا شَاهِقَةً، فَلَمَسْتُهَا بِيَدِي فَإِذَا هِيَ مَلْسَاءٌ

لَا يُمْكِنُ الصُّعُودُ عَلَيْهَا، وَدُرْتُ حَوْلَهَا فَلَمْ أَرْ لَهَا بَابًا وَلَا مَنْفَذًا، فَلَمَّا قَسْتُ دَائِرَتَهَا  
وَجَدْتُهَا حَمْسِينَ خُطْوَةً.

### (٣) طَيْرُ الرُّحِّ

وَبَيْنَمَا أَنَا أَتَأَمَّلُهَا إِذْ وَجَدْتُ الدُّنْيَا قَدْ أَظْلَمَتْ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ سَوَادٌ عَظِيمٌ حَجَبَ عَنِّي  
ضَوْءَ الشَّمْسِ، فَتَأَمَّلْتُهُ فَإِذَا هُوَ طَائِرٌ عَظِيمُ الْجِسْمِ، فَذَكَرْتُ لِلْحَالِ مَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ مِنَ  
الْمُسَافِرِينَ وَالتَّجَارِ عَنِ طَيْرِ الرُّحِّ، وَأَدْرَكْتُ أَنَّ هَذِهِ الْقَبَّةَ الْكَبِيرَةَ هِيَ بَيْضَتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ  
يَنْزِلُ طَيْرُ الرُّحِّ حَتَّى جَلَسَ عَلَيَّ بَيْضَتِهِ فَاحْتَضَنَهَا بِجَنَاحَيْهِ وَنَامَ فَوْقَهَا، فَنَظَرْتُ إِلَى  
مِخْلَبِهِ فَرَأَيْتُهُ — لِعِظَمِهِ — كَأَنَّهُ جِذْعُ شَجَرَةٍ، فَحَلَلْتُ عِمَامَتِي وَرَبَطْتُ نَفْسِي بِإِحْدَى  
رِجْلَيْهِ رَبْطًا مُحْكَمًا، رَجَاءً أَنْ يَحْمِلَنِي فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ غَيْرِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ  
النَّائِبَةِ، وَقَدْ تَحَقَّقَ ظَنِّي فَلَمْ يَكُنْ يَطْلُعُ الْفَجْرُ حَتَّى طَارَ، وَمَا زَالَ يَعلُو فِي الْفَضاءِ حَتَّى  
اِخْتَفَتِ الْأَرْضُ عَنِّي نَاطِرِي، وَظَلَّ طَائِرًا بِي مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ ثُمَّ هَبَطَ بِي فَجَاءَهُ إِلَى الْأَرْضِ  
فَأَغَمِي عَلَيَّ، ثُمَّ أَفَقْتُ لِنَفْسِي فَرَأَيْتُ طَيْرَ الرُّحِّ قَدْ وَقَفَ عَلَى الْأَرْضِ، فَفَكَّكْتُ رَبَاطِي  
لِلْحَالِ، وَفَرِحْتُ بِالْخَلَاصِ مِنْ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الْمُقْفَرَةِ.



#### (٤) فِي وَادِي الْأَفَاعِي

وَلَكِنَّ فَرَجِي لَمْ يَطُلْ، فَقَدْ رَأَيْتُ طَيْرَ الرُّخِّ، قَدْ انْقَضَّ عَلَى حَيَّةٍ كَبِيرَةٍ فَابْتَلَعَهَا وَطَارَ فِي  
الْفَضَاءِ، وَمَا زَالَ طَائِرًا حَتَّى غَابَ عَنِّي.  
فَنظَرْتُ إِلَى مَا حَوْلِي، فَنَدِمْتُ عَلَى تَرْكِ الْجَزِيرَةِ وَالْمَجِيءِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي لَمْ  
تُكْتَبِ السَّلَامَةُ لِأَحَدٍ وَصَلَ إِلَيْهِ. فَقَدْ هَبَطَ بِي الرُّخُّ — لِسُوءِ حَظِّي — إِلَى وَادٍ عَمِيقٍ تُحِيطُ  
بِهِ جِبَالٌ شَاهِقَةٌ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَلَيْسَ فِيهَا مَكَانٌ لِلصُّعُودِ وَلَا مَنَفَذٌ يَخْرُجُ مِنْهُ الْإِنْسَانُ.  
فَقُلْتُ لِنَفْسِي: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! كُلَّمَا نَجَوْتُ مِنْ مُصِيبَةٍ وَقَعْتُ فِي مُصِيبَةٍ شَرٌّ  
مِنْهَا!»

#### (٥) جِبَارَةُ الْمَاسِ

وَنظَرْتُ إِلَى أَرْضِ الْوَادِي، فَرَأَيْتُ جِبَارَتَهُ مِنَ الْمَاسِ، فَفَرَحْتُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَلَكِنَّ  
فَرَجِي لَمْ يَدُمْ طَوِيلًا فَقَدْ رَأَيْتُ فِي الْوَادِي كَثِيرًا مِنَ الْأَفَاعِي الْهَائِلَةِ الَّتِي تَبْتَلِعُ الْفِيلَ  
بِسُهُولَةٍ — لِضَخَامَتِهَا وَكِبَرِ حَجْمِهَا — وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَفَاعِي — لِحُسْنِ حَظِّي — تَخْتْفِي  
فِي الْكُهُوفِ وَالْمَغَارَاتِ أَثْنَاءَ النَّهَارِ خَوْفًا مِنْ طَيْرِ الرُّخِّ — وَهُوَ عَدُوُّهَا اللَّدُودُ الَّذِي يَبْتَلِعُهَا  
كُلَّمَا ظَهَرَتْ — فَإِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ خَرَجَتْ الْأَفَاعِي كُلُّهَا إِلَى الْوَادِي.

#### (٦) فِي الْكُهْفِ

فَمَشَيْتُ فِي ذَلِكَ الْوَادِي طُولَ النَّهَارِ، وَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ أَسْرَعْتُ إِلَى كُهْفٍ صَغِيرٍ فَدَخَلْتُهُ  
وَسَدَدْتُ مَنَفَذَهُ بِحَجَرٍ كَبِيرٍ حَتَّى آمَنَ شَرُّ الْأَفَاعِي، وَأَكَلْتُ مِنَ الزَّادِ الْقَلِيلِ الَّذِي أَحْضَرْتُهُ  
مَعِي مِنَ الْجَزِيرَةِ، وَحَاوَلْتُ أَنْ أَنَامَ فَلَمْ أَسْتَطِعْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، فَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ فَحِيحَ  
الْأَفَاعِي — وَهِيَ تَرْحَفُ أَمَامَ الْكُهْفِ — فَيَمْتَلِكُ قَلْبِي رُغْبًا، وَمَا زِلْتُ طُولَ اللَّيْلِ خَائِفًا  
أَتَوَقَّعُ الشَّرَّ.



### (٧) فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ

وَلَمَّا طَلَعَ الصَّبَاحُ انْقَطَعَ فَجِيحُ الْأَفَاعِي فَعَلِمْتُ أَنَّهَا قَدْ عَادَتْ إِلَى مَخَابِئِهَا وَكُھُوفِهَا فَحَمِدْتُ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَخَرَجْتُ مِنَ الْكُهْفِ وَمَشَيْتُ فِي الْوَادِي — وَأَنَا أَفَكِّرُ فِي هَذِهِ النَّهَائِيَةِ الْمُحْزِنَةِ الَّتِي وَصَلْتُ إِلَيْهَا — وَرَأَيْتُ كُلَّ مَا فِيهِ — مِنْ أَحْجَارِ الْمَاسِ الثَّمِينَةِ — لَا يُسَاوِي عِنْدِي شَيْئًا. وَتَمَنَّيْتُ لَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْوَادِي — بَدَلِ هَذِهِ الْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ — شَيْءٌ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ.

وَرَأَيْتُ صَخْرَةً قَرِيبَةً مِنِّي فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا — وَأَنَا مَهْمُومٌ لَا أَمَلٌ لِي فِي الْخَلَاصِ — فَعَلَبَنِي النَّعَاسُ فَنِمْتُ قَلِيلًا، ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ مَدْعُورًا خَائِفًا فَرَأَيْتُ قِطْعًا كَبِيرَةً مِنَ اللَّحْمِ تَتَسَاقَطُ — إِلَى جَانِبِي — عَلَى أَرْضِ الْوَادِي مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ.

### (٨) كَيْفَ يَحْصُلُ التُّجَارُ عَلَى الْمَاسِ

فَذَكَرْتُ مَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ مِنَ التُّجَّارِ عَنِ وَادِي الْمَاسِ وَعَنِ الطَّرِيقَةِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي يَحْصُلُونَ بِهَا عَلَى أَحْجَارِهِ. وَهِيَ أَنْ يَذْبَحُوا الْخِرَافَ وَيَسْلُخُوا مِنْهَا جِلْدَهَا ثُمَّ يُلْقُوا بِلَحْمِهَا الطَّرِيقَ إِلَى أَرْضِ ذَلِكَ الْوَادِي فَتَلْصِقُ بِهِ أَحْجَارُ الْمَاسِ. وَتَأْتِي النَّسُورُ — بَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ — فَتَخْطِفُهُ وَتَحْمِلُهُ إِلَى أَعْلَى الْجَبَلِ، فَيَصِيحُ بِهَا التُّجَّارُ فَتَهْرَبُ مِنْهُمْ خَائِفَةً تَارِكَةً لَهُمْ مَا مَعَهَا مِنَ اللَّحْمِ، فَيَأْخُذُ كُلُّ مِنْهُمْ مَا عَلِقَ بِقِطْعَتِهِ مِنَ الْمَاسِ تَارِكًا اللَّحْمَ — بَعْدَ ذَلِكَ — لِلنُّسُورِ الْجَائِعَةِ.

وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَحْسَبُ هَذَا الْكَلَامَ خُرَافَةً يَرِوِيهَا النَّاسُ — عَلَى سَبِيلِ الْفُكَاهَةِ وَالتَّسْلِيَةِ — حَتَّى رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي حَقِيقَةً وَاقِعَةً.

### (٩) كَيْفَ نَجَا السَّنْدِبَادُ مِنْ وَادِي الْأَفَاعِي

فَبَدَأَ لِي أَمَلٌ فِي النِّجَاةِ، وَتَخَيَّرْتُ مِنْ أَحْجَارِ الْمَاسِ أَنْفَسَهَا ثُمَّ نِمْتُ عَلَى ظَهْرِي وَوَضَعْتُ فَوْقِي أَحَدَ هَذِهِ الْخِرَافِ الْمَذْبُوحَةِ وَأَمْسَكْتُهُ بِيَدَيَّ — بِكُلِّ قُوَّتِي — حَتَّى جَاءَتِ النَّسُورُ فَزَفَعَتْ تِلْكَ اللَّحُومَ. وَجَاءَ نَسْرٌ كَبِيرٌ فَزَفَعَ الذَّبِيحَةَ الَّتِي كُنْتُ مُتَعَلِّقًا بِهَا، وَلَمْ يَزَلْ طَائِرًا حَتَّى بَلَغَ أَعْلَى الْجَبَلِ فَوَضَعَهَا عَلَيْهِ. وَأَسْرَعَ التُّجَّارُ إِلَى النَّسُورِ فَخَافَتْ وَهَرَبَتْ مِنْهُمْ تَارِكَةً لَهُمْ مَا مَعَهَا مِنَ اللَّحْمِ، فَوَقَفْتُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَلَمْ يَكُنْ يَرَانِي صَاحِبُ الذَّبِيحَةِ حَتَّى تَمَلَّكَهُ الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ. وَنَظَرَ إِلَى ذَّبِيحَتِهِ فَلَمْ يَجِدْ بِهَا شَيْئًا مِنَ الْمَاسِ. فَصَرَخَ وَلَطَمَ وَجْهَهُ نَادِبًا سَوْءَ حَظِّهِ وَضَيَّاعَ تَعَبِهِ بِلا فَائِدَةٍ. فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَحَيَّيْتُهُ فَاطْمَأَنَّ، ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ كَثِيرًا مِنَ الْمَاسِ، فَتَبَدَّلَ حُزْنُهُ فَرَحًا وَسُرُورًا، وَسَأَلَنِي عَنِ قِصَّتِي فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا حَدَثَ لِي فَدَهَشَ، وَدَهَشَ مَعَهُ جَمِيعُ التُّجَّارِ أَشَدَّ دَهْشَةً.



### (١٠) الْعُودَةُ إِلَى بَغْدَادَ

ثُمَّ سَافَرْتُ مَعَهُمْ إِلَى بِلَادِي. وَقَدْ رَأَيْتُ فِي طَرِيقِي كَثِيرًا مِنَ الْعَجَائِبِ الَّتِي يَحَارُّ فِيهَا الْعَقْلُ. وَمَا زِلْنَا سَائِرِينَ أَيَّامًا وَلَيَالِي حَتَّى بَلَّغْنَا «بَغْدَادَ» وَكَانَ مَعِيَ مِنَ الْمَاسِ شَيْءٌ كَثِيرٌ لَا تُقَدَّرُ قِيمَتُهُ لِنَفَاسَتِهِ.

وَلَمْ أَكُذْ أُدْخِلُ «بَغْدَادَ» حَتَّى لَقَيْتَنِي أَهْلِي وَأَصْحَابِي فَرِحِينَ بِعُودَتِي فَرَحًا شَدِيدًا، وَتَصَدَّقْتُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ بَعْدَ ذَلِكَ وَعَزَمْتُ عَلَى تَرْكِ الْأَسْفَارِ وَالْبَقَاءِ فِي «بَغْدَادَ» طُولَ عُمْرِي.

وَلَمَّا انْتَهَى «السُّنْدِبَادُ» مِنْ كَلَامِهِ أَمَرَ لِلْحَمَالِ بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَدَعَا لَهُ وَأَخَذَهَا مِنْهُ شَاكِرًا، وَأَنْصَرَفَ هُوَ وَجَمِيعُ الْحَاضِرِينَ عَلَى أَنْ يَعُودُوا إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي، وَلَمَّا حَضَرُوا فِي الْغَدِ بَدَأَ «السُّنْدِبَادُ» يَقْصُصُ عَلَيْهِمْ مَا حَدَّثَ لَهُ فِي رِحْلَتِهِ الثَّلَاثَةِ فَقَالَ.



## الرحلة الثالثة

في بلاد الأقرام والعمالقة

### (١) هُبُوبُ الْعَاصِفَةِ

بَعْدَ أَنْ عُدْتُ مِنْ رِحْلَتِي الثَّانِيَةِ أَقَمْتُ بِبَعْدَانَ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ هَادِيَّ الْبَالِ مُسْتَرِيحَ الْقَلْبِ لَا يُعَكِّرُ صَفْوَِي أَيْ كَدْرٍ، وَلَكِنَّ نَفْسِي سَمِمَتْ حَيَاةَ الْكَسَلِ وَالرَّاحَةِ وَأَشْتَاقْتُ إِلَى السَّفَرِ وَمَا فِيهِ مِنْ رِيحٍ وَفَيْرٍ، فَاشْتَرَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الْبَضَائِعِ وَسَافَرْتُ بِهَا مِنْ «بَعْدَانَ» إِلَى «الْبَصْرَةِ» حَيْثُ اكْتَرَيْتُ أَنَا وَبَعْضُ التُّجَّارِ مَرْكَبًا كَبِيرًا أَقْلَعَ بِنَا وَسَارَ فِي عُرْضِ الْبَحْرِ، وَلَمْ نَزَلْ نَنْتَقِلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَمِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ وَنَحْنُ نَبِيعُ وَنَشْتَرِي وَنَرْبِحُ أَرْبَاحًا طَائِلَةً حَتَّى هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَظَلَّتِ الْأَمْوَاجُ تَتَقَاذَفُ الْمَرْكَبَ وَيَهْدِدُنَا الْغَرَقُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، وَمَا زِلْنَا كَذَلِكَ حَتَّى ضَلَلْنَا الطَّرِيقَ وَمَكْتَنَّا عِدَّةَ أَيَّامٍ تَائِهِينَ فِي الْبَحْرِ لَا يَقْرَأُ لَنَا قَرَارٌ حَتَّى لَاحَتْ لَنَا جَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ، فَلَمْ يَكُنْ يَرَاهَا الرُّبَّانُ حَتَّى لَطَمَ وَجْهَهُ بِيَدَيْهِ وَالْقَى بِعِمَامَتِهِ إِلَى الْأَرْضِ وَصَاحَ خَائِفًا مَدْعُورًا: «لَقَدْ هَلَكْنَا وَضَاعَ كُلُّ أَمَلٍ فِي نَجَاتِنَا»



## (٢) مَعَ الْأَقْرَامِ

فَسَأَلْنَاهُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ وَمَا يُجَاوِرُهَا مِنَ الْجَزَائِرِ يَقْطُنُهَا قَوْمٌ مِنَ الْأَقْرَامِ الْمُتَوَحِّشِينَ وَهُمْ — عَلَى قِصْرِ قَامَاتِهِمْ — كَثِيرُو الْعَدَدِ، وَائِسٌ فِي اسْتِطَاعَتِنَا أَنْ نَقَاوِمَهُمْ».

وَلَمْ يَكْذُ يَنْتَهِي الرُّبَانَ مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى خَاصَ إِلَيْنَا الْمَاءَ أَوْلَيْكَ الْهَمَجُ الْمُتَوَحِّشُونَ وَأَحَاطُوا بِنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَكَانَ طُولُ كُلِّ مِنْهُمْ لَا يَزِيدُ عَلَى قَدَمَيْنِ، وَعَلَى جُسُومِهِمْ فِرَاءٌ حُمْرُ الْأَلْوَانِ وَتَحَدَّثُوا بِكَلَامٍ لَا نَفْهَمُهُ، ثُمَّ قَادُوا السَّفِينَةَ مُسْرِعِينَ إِلَى شَاطِئِ الْجَزِيرَةِ فَلَمْ نَسْتَطِعِ الدَّفَاعَ عَنْ أَنْفُسِنَا لِكثْرَةِ عَدَدِهِمْ، وَاسْتَسْلَمْنَا عَاجِزِينَ عَنْ كُلِّ مَقَاوِمَةٍ. ثُمَّ أَنْزَلُونَا مِنَ الْمَرْكَبِ عَلَى شَاطِئِ الْجَزِيرَةِ وَأَقْلَعُوا بِهِ إِلَى مَكَانٍ نَجْهَلُهُ وَتَرَكُونَا حَيَارَى لَا نَدْرِي كَيْفَ نَعْمَلُ. فَسَرْنَا فِي الْجَزِيرَةِ كَاسِفِي الْبَالِ لَا أَمَلٌ لَنَا فِي النَّجَاةِ وَالْخَلَاصِ مِنْ هَذَا الْأَسْرِ.

## (٣) قَصْرُ الْعِمْلَاقِ

وَلَاخَ لَنَا قَصْرٌ كَبِيرٌ — عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ مِنَ الْجَزِيرَةِ — فَقَصَدْنَا إِلَيْهِ، حَتَّى بَلَغْنَاهُ، فَوَجَدْنَاهُ قَلْعَةً شَاهِقَةً مُحْكَمَةَ الْبِنَاءِ، فَتَعَاوَنَّا جَمِيعًا عَلَى فَتْحِ بَابِهِ الْكَبِيرِ، ثُمَّ دَخَلْنَا فَنَاءَهُ، فَوَجَدْنَا فِيهِ كَوْمَةً مِنَ الْعِظَامِ الْبَشَرِيَّةِ، فَهَالَنَا ذَلِكَ الْمَنْظَرُ وَأَمْتَلَّتْ قُلُوبُنَا مِنْهُ رُغْبًا. وَلَمْ يَنْطِقْ أَحَدٌ مِنَّا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ — لِشِدَّةِ مَا لَحَقْنَا مِنَ الدُّعْرِ — وَبِقِينَا خَائِفِينَ طُولَ النَّهَارِ حَتَّى إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، سَمِعْنَا صَرِيرَ الْبَابِ الْخَارِجِيِّ وَهُوَ يُقْفَلُ، وَرَأَيْنَا عِمْلَاقًا هَائِلًا يَدْخُلُ عَلَيْنَا وَهُوَ — فِي مِثْلِ طُولِ النَّخْلَةِ — أَسْوَدُ الْوَجْهِ، لَهُ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ يَكَادُ يَتَطَايَرُ مِنْهَا الشَّرُّ، وَأَنْيَابٌ طَوِيلَةٌ حَادَّةٌ مُرَوَّعَةٌ!

## (٤) فِي حَضْرَةِ الْعِمْلَاقِ

وَلَمْ نَكْذُ نَرَاهُ حَتَّى تَمَلَّكَنَا الرُّغْبُ وَاسْتَوَلَى عَلَيْنَا الْهَلَعُ وَالْفَرَعُ وَصَرْنَا كَالْمَوْتَى وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْنَا نَظْرَاتٍ مُخِيفَةً، ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنِّي وَأَمْسَكَ بِي — وَأَنَا كَالْعُصْفُورِ فِي يَدِهِ — فَرَأَنِي نَحِيفًا هَزِيلَ الْجِسْمِ، فَتَرَكَّنِي، وَأَخَذَ غَيْرِي فَرَأَهُ نَحِيفًا فَلَمْ يُعْجِبْهُ أَيْضًا.



(٥) كَيْفَ شَوَى الرَّبَّانَ

وَنَظَرَ الْعِمْلَاقُ إِلَى الرَّبَّانِ فَرَأَهُ سَمِينًا فَأَعْجَبَهُ، وَأَمْسَكَ بِهِ وَلَوَى رَقَبَتَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ جَاءَ  
بِسَفُودٍ طَوِيلٍ فَأَنْفَذَهُ فِيهِ، وَأَوْقَدَ نَارًا حَامِيَةً وَوَضَعَهُ عَلَيْهَا، وَمَا زَالَ يُقَلِّبُهُ حَتَّى شَوَاهُ  
فَأَكَلَ لَحْمَهُ وَرَمَى عِظَامَهُ عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ نَامَ فَسَمِعْنَا لَهُ شَخِيرًا عَالِيًا.



## (٦) فِي الْيَوْمِ التَّالِي

وَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ خَرَجَ الْعِمْلَاقُ مِنَ الْقَصْرِ وَتَرَكَنَا، فَخَرَجْنَا إِلَى الْجَزِيرَةِ يَائِسِينَ، وَتَمَنِّيْنَا لَوْ كُنَّا غَرَقْنَا فِي الْبَحْرِ وَلَمْ نَقْعُ فِي قَبْضَةِ هَذَا الْغُولِ الْمُخِيفِ، حَتَّى لَا يَكُونَ نَصِيبَنَا هَذِهِ الْمَوْتَةُ الشَّنْعَاءُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ لِنَخْطُرَ لَنَا عَلَى بَالٍ.

وَبَحَثْنَا طُولَ النَّهَارِ عَنِ مَكَانٍ نَحْتَبِي فِيهِ فَلَمْ نَظْفَرْ بِطَائِلٍ، فَعُدْنَا إِلَى الْقَصْرِ خَائِفِينَ، وَجَاءَ الْعِمْلَاقُ بَعْدَ قَلِيلٍ فَشَوَى أَحَدَنَا — كَمَا شَوَى بِالْأَمْسِ رُبَّانَ السَّفِينَةِ — وَأَكَلَهُ وَنَامَ إِلَى الصَّبَاحِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى حَيْثُ لَا نَدْرِي، وَخَرَجْنَا هَائِمِينَ فِي الْجَزِيرَةِ، وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْنَا بَعْضُ رِفَاقِنَا أَنْ نَلْقَى بِنَفْسِنَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى نَنْجُوَ مِنْ هَذِهِ الْمَوْتَةِ الْمُرْوَعَةِ. وَأَشَارَ آخَرُونَ أَنْ نَحْتَالَ لِقَتْلِ الْعِمْلَاقِ.

## (٧) فُلُكُ النَّجَاةِ

فَأَشْرَتْ عَلَيْهِمْ أَنْ يُهَيِّئُوا فُلُكًا مِنْ حَشَبِ الْأَشْجَارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ نَنْجَحْ فِي قَتْلِ الْعِمْلَاقِ هَرَبْنَا مِنَ الْجَزِيرَةِ فِي تِلْكَ الْفُلْكِ، فَفَرِحُوا جَمِيعًا بِهَذَا الرَّأْيِ، وَشَرَعْنَا فِي الْعَمَلِ بِجِدِّ وَنَشَاطٍ حَتَّىٰ إِذَا تَمَّتِ الْفُلُكُ وَضَعْنَا فِيهَا مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الزَّادِ وَرَبَطْنَاهَا إِلَىٰ شَاطِئِ الْبَحْرِ.

## (٨) تَنْفِيذُ الْمُؤَامَرَةِ

وَعُدْنَا إِلَى الْقَصْرِ، فَجَاءَ الْعِمْلَاقُ فَفَعَلَ بِنَائِلِ مَنَا مَا فَعَلَهُ بِسَابِقِيهِ ثُمَّ نَامَ كَعَادَتِهِ وَعَلَا شَجِيرُهُ، فَوَضَعْنَا سَفُودَيْنِ فِي النَّارِ حَتَّىٰ احْمَرَّا، ثُمَّ أَدْخَلْنَاهُمَا مَعًا بِقُوَّةٍ فِي عَيْنِهِ — وَهُوَ نَائِمٌ — فَصَرَخَ صَرْخَةً هَائِلَةً مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ، وَقَامَ هَائِجًا كَالْمَجْنُونِ يَبْحَثُ عَنَّا بَعْدَ أَنْ عَمِيَتْ عَيْنُهُ، فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَىٰ أَحَدٍ، فَسَارَ إِلَى الْبَابِ فَفَتَحَهُ وَخَرَجَ، فَفَرِحْنَا بِذَلِكَ وَحَسِبْنَا أَنَّ أَصْبَحْنَا بِمَأْمِنٍ مِنْ شَرِّهِ!

## (٩) اِنتِقَامُ الْعَمَالِقَةِ

وَلَكِنَّ فَرَحَنَا لَمْ يَطُلْ، فَقَدْ جَاءَ إِلَيْنَا — بَعْدَ قَلِيلٍ — جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَمَالِقَةِ يُغَايِرُونَهُ فِي الشَّكْلِ وَلَا يَقْلُونَ عَنْهُ وَحَشِيَّةً وَفَظَاطَةً، فَهَرَبْنَا مِنْهُمْ مُسْرِعِينَ إِلَى الْفُلْكِ الَّتِي صَنَعْنَاهَا، فَلَمَّا رَأَوْنَا فِي الْبَحْرِ ظُلُومًا يَرْجُمُونَنَا بِجَارَةِ كَبِيرَةٍ فَقَتَلُوا رِفَاقِي وَلَمْ يَنْجُ مَعِي مِنْهُمْ إِلَّا اثْنَانِ.



(١٠) الْفِرَارُ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَمَالِقَةِ

وَبَعْدَ أَنْ نَجَوْنَا مِنْ شَرِّ أَوْلِيكَ الْعَمَالِقَةِ أَصْبَحْنَا تَحْتَ رَحْمَةِ الْأَمْوَاجِ الْهَائِجَةِ - طُولَ نَهَارِنَا وَلَيْلَتِنَا - حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ قَدَفْتَنَا الْأَمْوَاجُ إِلَى شَاطِئِ جَزِيرَةٍ كَبِيرَةٍ، فَفَرَحْنَا بِذَلِكَ وَأَكَلْنَا مِنْ فَاكِهِتِهَا الطَّيِّبَةِ وَشَرِبْنَا مِنْ مَائِهَا الْعَذْبِ، ثُمَّ جَلَسْنَا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فَرَحِينَ بِالنَّجَاةِ مِنْ أَرْضِ الْعَمَالِقَةِ.

(١١) فِي فَمِ أَفْعَى

وَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ نِمْنَا فَوْقَ شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ وَاسْتَبْقَيْنَا فَرِيعَيْنِ فَرَأَيْنَا حَيَّةً هَائِلَةً قَدِ التَّقَمَتْ  
وَأَجِدًا مِنْ رَفِيقِي، فَسَمِعْنَا عِظَامَهُ تَنَكَّسُرٌ فِي جَوْوِهَا وَهِيَ تَبْتَلِعُهُ فَاشْتَدَّ خَوْفُنَا وَهَالْنَا  
الْأَمْرُ وَقُلْنَا: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، كُلَّمَا نَجَوْنَا مِنْ مُصِيبَةٍ وَقَعْنَا فِيمَا  
هُوَ شَرٌّ مِنْهَا».



وَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ أَكَلْنَا وَشَرِبْنَا حَتَّى إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ صَعِدْنَا إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى فَنِمْتُ  
بِأَعْلَاهَا وَنَامَ رَفِيقِي قَرِيبًا مِنِّي، وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَتِ الْحَيَّةُ فَالتَّقَمْتُ رَفِيقِي كَمَا التَّقَمْتُ  
صَاحِبَهُ بِالْأَمْسِ!

(١٢) كَيْفَ نَجَا السَّنْدِبَادُ مِنَ الْأَفْعَى

فَمَكَثْتُ طُولَ اللَّيْلِ خَائِفًا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ هَمَمْتُ أَنْ أَلْقِي بِنَفْسِي فِي الْبَحْرِ فَمَنَعَنِي  
مِنْ ذَلِكَ حُبُّ الْحَيَاةِ فَتَجَلَّدْتُ، وَلَمَّا اقْتَرَبَ اللَّيْلُ أَحْضَرْتُ أَلْوَاحًا مِنَ الْحَسْبِ وَشَدَدْتُ  
جِسْمِي إِلَيْهَا شَدًّا وَثِيقًا، وَجَاءَتِ الْحَيَّةُ — كَعَادَتِهَا — تُحَاوِلُ أَنْ تَبْتَلِعَنِي كَمَا ابْتَلَعَتْ

رَفِيقِي، فَحَالَتِ الْأَلْوَاحُ الْمَشْدُودَةُ حَوْلِي دُونَ ذَلِكَ، وَظَلَّتِ الْحَيَّةُ طُولَ اللَّيْلِ تُحَاوِلُ أَنْ تَجِدَ مَنْفَذًا إِلَيَّ — مِنْ خِلَالِ الْأَلْوَاحِ — دُونَ أَنْ تَطْفَرَ بِطَائِلٍ، فَلَمَّا بَدَأَ الصَّبَاحُ عَادَتْ مِنْ حَيْثُ أَتَتْ فَحَالَّتِ الرِّبَاطَ وَخَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ الخُشْبِ وَأَنَا أَحْمَدُ اللهُ عَلَى السَّلَامَةِ.

### (١٣) الْأَمَلُ بَعْدَ الْيَأْسِ

وَجَلَسْتُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ يَأْسًا مَهْمُومًا أَفَكَّرْتُ فِيهَا حَلَّ بِي مِنَ الْمَصَائِبِ، فَلَمَحْتُ مَرْكَبًا كَبِيرًا عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، فَلَمْ أزلُ أَصْرُخُ وَأَصِيحُ — مُشِيرًا بِيَدِي مَرَّةً وَمُلَوِّحًا بِعِمَامَتِي مَرَّةً أُخْرَى — حَتَّى فَطِنَ إِلَيَّ بَعْضُ مَنْ بِالْمَرْكَبِ، فَاقْتَرَبُوا مِنَ الْجَزِيرَةِ وَرَسَوْا عَلَى شَاطِئِهَا، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا عَلَيَّ السَّلَامَ، وَفَرِحْتُ بِلِقَائِهِمْ فَرَحًا عَظِيمًا، ثُمَّ حَمَلُونِي مَعَهُمْ وَسَأَلُونِي عَن أَمْرِي فَقَصَصْتُ عَلَيْهِمْ كُلَّ مَا حَدَّثَ لِي، فَعَجِبُوا مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الْعَجَبِ وَأَطْعَمُونِي وَسَقَوْنِي وَأَكْرَمُونِي أَحْسَنَ إِكْرَامٍ.

### (١٤) رُبَّانُ السَّفِينَةِ

وَلَمْ يَزَلِ الْمَرْكَبُ سَائِرًا بِنَا حَتَّى بَلَّغْنَا بَلَدًا كَبِيرًا، فَقَالَ لِي الرُّبَّانُ: «إِنَّ عِنْدِي بِضَاعَةً لِرَجُلٍ اسْمُهُ «السَّنْدِبَادُ الْبَحْرِيُّ» كَانَ مَعَنَا ثُمَّ نَسِينَاهُ فِي جَزِيرَةٍ مَرَرْنَا بِهَا». فَتَأَمَّلْتُ الرُّبَّانَ فَعَرَفْتُهُ وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّي أَنَا «السَّنْدِبَادُ الْبَحْرِيُّ» فَلَمْ يُصَدِّقْنِي أَوْلَ الْأَمْرِ، وَاجْتَمَعَ التُّجَّارُ حَوْلِي وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِم التَّاجِرُ الَّذِي تَعَلَّقْتُ بِذَبِيحَتِهِ — فِي رِحْلَتِي السَّابِقَةِ الَّتِي قَصَصْتُهَا عَلَيْكُمْ — فَلَمْ يَكِدْ يُنْعِمُ النَّظَرَ فِيَّ حَتَّى عَرَفْنِي وَقَصَّ عَلَيْهِمْ مَا حَدَّثَ لِي مَعَهُ، فَحَدَّقَ الرُّبَّانُ نَظْرَهُ فِيَّ فَعَرَفْنِي وَتَحَقَّقَ صِدْقَ قَوْلِي، فَعَانَقْنِي فَرِحًا مَسْرُورًا.

### (١٥) فِي بَغْدَادَ

وَمَا زِلْنَا نَنْتَقِلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَمِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ — وَتِجَارَتُنَا رَابِحَةٌ — حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى «الْبَصْرَةِ» ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى «بَغْدَادَ» وَمَعِيَ أَمْوَالٌ لَا تُحْصَى، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ أَهْلِي وَأَصْحَابِي يُهَنِّئُونَنِي بِرُجُوعِي سَالِمًا وَقَدْ فَرِحُوا بِي فَرَحًا لَا يُوصَفُ.

### الرحلة الثالثة

وَلَمَّا انْتَهَى «السُّنْدِبَادُ» مِنْ كَلَامِهِ أَمَرَ لِلْحَمَالِ بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَدَعَا لَهُ وَخَرَجَ مَعَ الْحَاضِرِينَ، وَلَمَّا حَضَرُوا فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ بَدَأَ «السُّنْدِبَادُ» يَقْصُّ عَلَيْهِمْ رِحْلَتَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ.





## الرحلة الرابعة

بين جماجم الموتى

### (١) كَيْفَ تَحَطَّمُ الْمَرْكَبُ

بَقِيْتُ فِي «بَغْدَادَ» هَادِيَّ الْبَالِ مُنْغَمِسًا فِي اللَّهْوِ وَالتَّرَفِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ نَسِيتُ فِيهَا مَا قَاسَيْتُهُ مِنَ الشَّدَائِدِ فِي أَسْفَارِي السَّابِقَةِ وَتَطَلَّعْتُ نَفْسِي لِلسَّفَرِ — مَرَّةً أُخْرَى — طَمَعًا فِيمَا يَجْرُهُ مِنَ الْكَسْبِ.

فَلَمْ أَتَرَدَّدْ فِي إِمْضَاءِ هَذِهِ الْعَزِيمَةِ، وَاشْتَرَيْتُ بِضَاعَةً وَحُمُولًا كَثِيرَةً، وَسَافَرْتُ مِنْ مَدِينَةِ «بَغْدَادَ» إِلَى مَدِينَةِ «الْبَصْرَةَ» حَيْثُ اسْتَأْجَرْتُ أَنَا وَجَمَاعَةً مِنَ التُّجَّارِ مَرْكَبًا شِرَاعِيًّا كَبِيرًا سَارَ بِنَا أَيَّامًا وَلَيَالِيًا، وَكَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالْأُمُورُ عَلَى مَا يُرَامُ، وَلَمْ نَزَلْ نَتَّجِرْ وَنَبِيعُ وَنَشْتَرِي فِي كُلِّ مَكَانٍ حَلَلْنَا بِهِ حَتَّى هَبَّتْ عَلَيْنَا عَاصِفَةٌ شَدِيدَةٌ حَطَّمَتِ الْمَرْكَبَ وَمَزَّقَتْ شِرَاعَهُ تَمْزِيقًا.



فَعَرِقَ كُلُّ مَا مَعَنَا مِنَ الْبَصَائِعِ كَمَا غَرِقَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسَافِرِينَ، وَبَقِيْتُ أَنَا وَجَمَاعَةٌ  
 قَلِيلَةٌ مِنَ التُّجَّارِ سَابِحِينَ فِي الْبَحْرِ نِصْفَ نَهَارٍ، ثُمَّ ظَفَرْنَا بِلَوْحٍ مِنَ الْخَشَبِ فَرَكِبْنَاهُ،  
 وَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا بِنَا بَعْدَ أَنْ هَدَّاتِ الْعَاصِفَةُ وَطَابَتِ الرِّيحُ يَوْمًا وَلَيْلَةً، ثُمَّ قَدَفْتْنَا الْأَمْوَاجَ  
 إِلَى شَاطِئِ جَزِيرَةٍ وَنَحْنُ كَالْمَوْتَى مِمَّا كَابَدْنَاهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالْعَنَاءِ.



## (٢) جَزِيرَةُ الْغِيلَانِ

وَمَشِينًا فِي الْجَزِيرَةِ فَوَجَدْنَا كَثِيرًا مِنَ النَّبَاتِ وَالْفَاكِهَةِ وَالْعُشْبِ وَالْمَاءِ، فَأَكَلْنَا وَشَرِبْنَا ثُمَّ نِمْنَا طَوَّلَ اللَّيْلِ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ النَّهَارُ اسْتَأْنَفْنَا السَّيْرَ فِي الْجَزِيرَةِ فَلَاحَ لَنَا قَصْرٌ عَالٍ فَقَصَدْنَا إِلَيْهِ، وَلَمَّا بَلَغْنَاهُ خَرَجَ عَلَيْنَا نَفْرٌ مِنَ الْمُتَوَحِّشِينَ وَهُمْ حُفَاةُ الْأَقْدَامِ عُرَاةُ الْأَجْسَامِ وَمَا كَادُوا يُبْصِرُونَنَا حَتَّى قَبَضُوا عَلَيْنَا، وَسَارُوا بِنَا إِلَى مَلِكِهِمْ فَأَمَرْنَا بِالْجُلُوسِ فَأَطَعْنَا، ثُمَّ أَحْضَرَ طَعَامًا فَأَكَلْ مِنْهُ أَصْحَابِي وَعَاقَفْتَهُ نَفْسِي فَلَمْ أَكُلْ مِنْهُ شَيْئًا — وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ حَظِّي — فَإِنَّ أَصْحَابِي لَمْ يَنْتَهُوا مِنْ أَكْلَتِهِمْ هَذِهِ حَتَّى ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ الْحَبْلِ وَالْجُنُونِ، فَأَسْفُتُ لِذَلِكَ أَشَدَّ الْأَسْفِ وَأَدْرَكْتُ أَنَّ مَا أَكَلُوهُ مِنَ الطَّعَامِ هُوَ سَبَبٌ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الدَّهُولِ.

وَكَانَتْ هَذِهِ عَادَةُ الْغِيلَانِ مَعَ كُلِّ مَنْ يَزِمِيهِمْ سُوءَ الْحَظِّ وَنَكَدُ الطَّالِعِ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ، إِذْ يُقَدِّمُونَ إِلَيْهِمْ هَذَا الطَّعَامَ الْعَجِيبَ فَيَقْبَلُونَ عَلَيْهِ بِشَرِّهِ وَيُصِيبُهُمُ الدَّهُولُ، وَلَا يَزَالُونَ يَأْكُلُونَ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى يَسْمِنُوا فَيَأْكُلُهُمُ الْغِيلَانُ، وَلَمَّا تَكَشَّفَتْ لِي هَذِهِ الْحَقِيقَةُ فَزَعْتُ فَرَعًا شَدِيدًا وَأَمْتَعْتُ عَنْ أَكْلِ طَعَامِهِمْ مُكْتَفِيًا بِمَا كُنْتُ أَقْنَانُهُ مِنْ الْأَعْشَابِ، فَأَصَابَنِي هُزَالٌ شَدِيدٌ جَعَلَهُمْ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيَّ وَلَا يُعْنَوْنَ بِمِرَاقِبَتِي، وَكَانَ يَخْرُجُ بِأَصْحَابِي — كُلَّ يَوْمٍ — وَاحِدٌ مِنْ أَوْلِيكَ الْغِيلَانِ يَزْعَاهُمْ كَمَا تُرْعَى الْغَنَمُ.

## (٣) هَرَبُ السُّنْدِبَادِ مِنَ الْغِيلَانِ

وَسَنَحْتُ لِي الْفُرْصَةَ — ذَاتَ يَوْمٍ — فَهَرَبْتُ مِنَ الرَّاعِي، وَمَا زِلْتُ أُجْرِي — بِكُلِّ قُوَّتِي — حَتَّى أَقْبَلَ اللَّيْلُ، فَنِمْتُ قَلِيلًا ثُمَّ أَصَابَنِي الْأَرْقُ لِشِدَّةِ مَا لِحِقَنِي مِنَ الْخَوْفِ، فَاسْتَأْنَفْتُ السَّيْرَ وَمَا زِلْتُ سَائِرًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَأَنَا أَكُلُ مِمَّا أَلْقَاهُ فِي طَرِيقِي مِنَ النَّارِجِيلِ «الْجَوْرِ الْهِنْدِيِّ» — الَّذِي كَانَ غِذَائِي وَشَرَابِي مَعًا — وَكُنْتُ أَسِيرُ بِالنَّهَارِ وَأَنَا مٌ بِاللَّيْلِ.



#### (٤) عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ

وَلَمَّا بَلَغْتُ شَاطِئَ الْبَحْرِ رَأَيْتُ جَمَاعَةً يَجْمَعُونَ حَبَّ الْفُلْفُلِ، وَمَا كَادَ يَقَعُ بَصَرُهُمْ عَلَيَّ حَتَّى بَدَأُونِي بِالتَّحِيَّةِ وَسَأَلُونِي - بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ - «مَنْ أَأَيْنَ أَقْبَلْتَ؟».

فَقَصَصْتُ عَلَيْهِمْ مَا حَدَّثَ لِي مَعَ الْغِيلَانَ فَهَنَأُونِي بِالسَّلَامَةِ وَقَدَّمُوا لِي طَعَامًا شَهِيًّا فَأَكَلْتُ حَتَّى شَبِعْتُ.

#### (٥) فِي حَضْرَةِ الْمَلِكِ

وَلَمَّا نَهَبُوا إِلَيَّ مَلِكِهِمْ أَخْبَرْتُهُ بِقِصَّتِي فَعَجِبَ أَشَدَّ الْعَجَبِ، وَأَكْرَمَنِي وَأَوَانِي عِنْدَهُ، وَخَرَجْتُ - فِي الْيَوْمِ التَّالِي - إِلَى الْمَدِينَةِ، فَرَأَيْتُهَا مَدِينَةً عَظِيمَةً مُزْدَحَمَةً الْأَسْوَاقِ.

## (٦) سُرُوجُ الْخَيْلِ

وَلَكِنِّي رَأَيْتُ أَهْلَهَا يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ بِلَا سَرْجٍ وَلَا لِحَامٍ — لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ — فَذَهَبْتُ إِلَى الْمَلِكِ وَأَبْدَيْتُ لَهُ دَهْشَتِي مِمَّا رَأَيْتُ، فَقَالَ لِي: «إِنَّكَ تَحَدِّثُنِي عَنْ شَيْءٍ لَا أَعْرِفُهُ وَلَمْ أَرَهُ فِي حَيَاتِي قَطُّ» وَطَلَبَ إِلَيَّ أَنْ أَصْنَعَ لِفَرَسِهِ سَرْجًا وَلِحَامًا فَجَمَعْتُ بَعْضَ الْعَمَالِ الْأَذْكَيَاءِ، وَرَسَمْتُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يُلَائِمُ حِرْفَتَهُ مِنَ الْعَمَلِ حَتَّى تَمَّ السَّرْجُ فَحَلَيْتُهُ بِطِرَازٍ ذَهَبِيٍّ نَفِيسٍ، وَأَرْشَدْتُ الْحَدَادَ إِلَى طَرِيقَةِ صُنْعِ الرِّكَابِ وَاللِّجَامِ فَلَمَّا أْتَمَّ صُنْعُهُمَا ذَهَبْتُ إِلَى الْمَلِكِ — وَمَعِيَ سَرْجٌ وَلِحَامٌ وَرِكَابٌ — وَذَكَرْتُ لَهُ فَائِدَةَ كُلِّ مِنْهَا فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ فَرَسِهِ فَأَسْرَجْتُهَا وَأَلْجَمْتُهَا، ثُمَّ رَكَبَهَا الْمَلِكُ فَسَرَّ مِنْ ذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا وَشَكَرَ لِي هَذِهِ الْهَدِيَّةَ النَّفِيسَةَ، وَكَافَأَنِي عَلَيْهَا أَحْسَنَ مُكَافَأَةٍ.

ثُمَّ طَلَبَ إِلَيَّ أَعْيَانَ الدَّوْلَةِ أَنْ أَصْنَعَ لَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَجَبْتُهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا، فَعَمَرُونِي بِهَدَايَاهُمْ النَّفِيسَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ.



## (٧) زَوَاجُ السُّنْدِبَادِ

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ قَالَ لِي الْمَلِكُ: «إِنِّي وَجَمِيعَ حَاشِيَتِي نُحِبُّكَ يَا سُنْدِبَادُ حُبًّا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ، وَنُرِيدُ أَنْ تَبْقَى مَعَنَا طَوْلَ عُمْرِكَ وَلَا بُدَّ مِنْ تَزْوِيجِكَ حَتَّى لَا تَفَارِقَنَا، وَقَدْ تَخَيَّرْتُ لَكَ فَتَاةً جَمِيلَةً غَنِيَّةً لِتَتَزَوَّجَ مِنْهَا، فَمَاذَا أَنْتَ قَائِلٌ؟»

فَلَمْ أَسْتَطِعْ مُخَالَفَةَ أَمْرِهِ، وَرَضِيْتُ بِالزَّوْاجِ مِنْ تِلْكَ الْفَتَاةِ — وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ  
وَأَدَبٍ — فَعِشْنَا مَعًا عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ وَأَهْدَى بَالٍ، وَلَكِنِّي كُنْتُ — فِي كُلِّ يَوْمٍ — أَتَرَقَّبُ  
الْفَرْصَ لِلسَّفَرِ إِلَى بَلَدِي فِي أَوَّلِ سَفِينَةٍ تَمُرُّ بِهَذِهِ الْجَزِيرَةِ.

## (٨) دَفْنُ الْأَحْيَاءِ مَعَ الْأَمْوَاتِ

وَحَدَّثَ — فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ — مَا لَمْ أَكُنْ أَتَوَقَّعُهُ، فَقَدْ مَاتَتْ زَوْجَةٌ جَارِي وَكَانَ مِنْ أَحَبِّ  
الْأَصْدِقَاءِ إِلَيَّ، فَلَمَّا ذَهَبْتُ أُعْزِّيهِ وَجَدْتُهُ فِي حَالٍ لَا تُوصَفُ — مِنْ شِدَّةِ الْجَزَعِ وَالْغَمِّ —  
فَقُلْتُ لَهُ: «تَشَجَّعْ يَا أُخِي وَلَا تَحْزَنْ».   
وَدَعَوْتُ لَهُ بِطُولِ الْبَقَاءِ، فَقَالَ لِي مُتَحَسِّرًا: «كَيْفَ يَطُولُ بَقَائِي وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ  
الْهَلَاكِ إِلَّا سَاعَةٌ وَاحِدَةٌ»  
فَقُلْتُ لَهُ: «لَا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ، وَسَيُطِيلُ اللهُ عُمرَكَ وَتَنْسَى مُصَابِكَ هَذَا، وَيَكُونُ آخِرَ  
مَكْرُوهٍ يَلْحَقُكَ!»

فَقَالَ لِي: «أَمَّا طُولُ الْعُمْرِ فَلَيْسَ لِي فِيهِ مَطْمَعٌ، لِأَنِّي سَأَدْفِنُ مَعَ زَوْجَتِي حَيًّا —  
بَعْدَ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ — وَقَدْ وَدَّعْتُ أَهْلِي وَأَصْدِقَائِي جَمِيعًا»  
فَدَهَشْتُ مِنْ قَوْلِهِ أَشَدَّ دَهْشَةٍ، وَسَأَلْتُهُ مُتَعَجِّبًا: «وَكَيْفَ تُدْفِنُ مَعَ زَوْجَتِكَ وَأَنْتَ  
حَيٌّ؟»، فَقَالَ لِي: «إِنَّ شَرِيعَةَ بِلَادِنَا تَحْتَمُّ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ تَمُوتُ زَوْجَتُهُ أَنْ يُدْفِنَ مَعَهَا حَيًّا،  
وَعَلَى كُلِّ امْرَأَةٍ يَمُوتُ زَوْجُهَا أَنْ تُدْفِنَ مَعَهُ كَذَلِكَ؟»  
فَزَادَتْ دَهْشَتِي، وَسَأَلْتُهُ: «أَلَيْسَ فِي قُدْرَةِ أَحَدٍ أَنْ يُغَيِّرَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْقَاسِيَةَ؟»  
فَأَجَابَنِي يَائِسًا: «ذَلِكَ مُحَالٌ، فَإِنَّ هَذَا الْقَانُونَ يَسْرِي عَلَى أَهْلِ الْجَزِيرَةِ كُلِّهِمْ، مِنْ  
الْمَلِكِ إِلَى أَصْغَرِ فَرْدٍ فِي الرَّعِيَّةِ.»

وَلَمْ يَكُنْ يَفْرُغُ مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى اجْتَمَعَ حَوْلَهُ أَهْلُهُ وَعَارِفُوهُ، فَوَضَعُوا زَوْجَتَهُ فِي  
النَّعْشِ وَوَضَعُوا مَعَهَا كُلَّ حُلَاهَا، وَسَارُوا بِهِمَا إِلَى جُبِّ بَعِيدٍ عَنِ الْمَدِينَةِ، وَكَشَفُوا غِطَاءَهُ  
— وَهُوَ صَخْرَةٌ كَبِيرَةٌ — وَالْقَوَا بِالزَّوْجَةِ فِيهِ، ثُمَّ رَبَطُوا زَوْجَهَا بِجِبَالٍ طَوِيلَةٍ وَوَدَّعُوهُ،  
وَوَضَعُوا — إِلَى جَانِبِهِ — قَلَّةَ مَاءٍ وَسَبْعَةَ أَرْغِفَةٍ، وَلَمَّا أَنْزَلُوهُ فِي الْجُبِّ أَعَادُوا غِطَاءَهُ  
وَرَجَعُوا مِنْ حَيْثُ أَتَوْا؟

## (٩) الشُّكُوى إِلَى الْمَلِكِ

وَلَيْسَ فِي قُدْرَتِي أَنْ أَصِفَ لَكُمْ مَا لَحِقَنِي مِنَ الْجَزَعِ وَالْخَوْفِ مِمَّا رَأَيْتُ، وَلَقَدْ أَسْرَعْتُ بِالذَّهَابِ إِلَى مَلِكِ الْجَزِيرَةِ فَشَكَّوتُ لَهُ هَذِهِ الْعَادَةَ السَّيِّئَةَ الَّتِي لَمْ أَرَهَا فِي غَيْرِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ، فَقَالَ لِي مُبْتَسِمًا: «هَذِهِ هِيَ شَرِيعَةُ بِلَادِنَا، وَهِيَ سَارِيَةٌ عَلَيَّ وَعَلَى جَمِيعِ رَعِيَّتِي فَإِذَا مَاتَتِ الْمَلِكَةُ قَبْلِي دُفِنْتُ مَعَهَا، وَإِذَا مِتُّ قَبْلَهَا دُفِنْتُ مَعِي؟»

فَزَادَ عَجَبِي مِنْ ذَلِكَ وَقُلْتُ لَهُ: «وَهَلْ يَسْرِي هَذَا الْقَانُونُ الْقَاسِي عَلَى الْغُرَبَاءِ أَيْضًا؟» فَأَجَابَنِي: «نَعَمْ، فَهُوَ يَسْرِي عَلَى كُلِّ مَنْ تَزَوَّجَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ أَيًّا كَانَ جِنْسُهُ!» فَرَجَعْتُ مِنْ عِنْدِهِ مَهْمُومًا، وَصِرْتُ أَجْزَعُ كُلَّمَا لَحِقَ زَوْجَتِي أَقْلٌ أَدَّى، وَأَخْشَى عَلَيْهَا كُلَّمَا مَرَضَتْ، وَكُنْتُ إِذَا جَرِحَتْ إِضْبَعُهَا بِتُ طُولَ اللَّيْلِ سَاهِرًا خَشِيَةً أَنْ تَمُوتَ.

## (١٠) وَفَاةُ زَوْجَةِ السُّنْدِبَادِ

وَكَانَ مَا خِفْتُ أَنْ يَكُونَ، فَلَمْ يَمِضْ عَلَى زَوْجَتِي زَمَنٌ يَسِيرٌ حَتَّى مَرَضَتْ ثُمَّ مَاتَتْ، فَوَقَعَ عَلَيَّ هَذَا الْحَادِثُ وَقُوَعَ الصَّاعِقَةُ، وَذَكَرْتُ أَنَّ كُلَّ مَوْتَةٍ تَعَرَّضْتُ لَهَا وَنَجَوْتُ مِنْهَا فِي رِحْلَتِي السَّابِقَةِ كَانَتْ أَهْوَنَ عَلَى نَفْسِي مِنْ أَنْ أُدْفَنَ حَيًّا.

وَجَاءُوا فَكَفَّنُوا زَوْجَتِي فِي أَبْهَى أَتْوَابِهَا وَوَضَعُوا مَعَهَا كُلَّ حَلِيئِهَا، وَسَرَتْ خَلْفَهَا وَمَعِيَ كِبَارُ الدَّوْلَةِ وَأَعْيَانُ الْمَدِينَةِ يَنْقَدِمُهُمُ الْمَلِكُ نَفْسُهُ حَتَّى بَلَّغْنَا ذَلِكَ الْجَبَّ الْمَشْتُومَ، فَكَشَفُوا غِطَاءَهُ وَأَنْزَلُوا زَوْجَتِي فِيهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ الْمَلِكُ وَالْأَعْيَانُ يُودِّعُونَنِي، فَصَرَخْتُ بَاكِئًا مِنْ هَوْلٍ مَا أَنَا قَادِمٌ عَلَيْهِ، وَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِمْ جَمِيعًا — طَمَعًا فِي أَنْ يُطْلِقُوا سَرَاجِي — فَلَمْ يُصْنَعْ أَحَدٌ إِلَى كَلَامِي.

## (١١) بَيْنَ جَمَاجِمِ الْمَوْتَى

ثُمَّ أَنْزَلُونِي إِلَى الْجَبِّ قَسْرًا وَأَنْزَلُوا مَعِي قَلَّةَ مَاءٍ وَسَبْعَةَ أَرْغَفَةٍ، وَأَعَادُوا غِطَاءَ الْجَبِّ ثَانِيَةً وَأَنْصَرَفُوا.





وَبَقِيْتُ وَحْدِي فِي ظُلْمَةٍ هَذَا الْجُبِّ — بَيْنَ جَمَاجِمِ الْمَوْتَى — مُتَرَقِّبًا سَاعَتِي الْأَخِيرَةَ  
بَيْنَ يَوْمٍ وَآخَرَ.

وَلَاخَ لِي فِي تِلْكَ الْحُفْرَةِ الْمُظْلِمَةِ بَصِيصٌ ضَائِلٌ مِنَ النُّورِ فَرَأَيْتُ حَوْلِي أَكْدَاسًا مِنْ عِظَامِ  
الْمَوْتَى وَجَمَاجِمِهِمْ، فَازْدَادَ رُغْبِي وَأَخَذْتُ أَلْوَمَ نَفْسِي عَلَى هَذِهِ الرَّحْلَةِ الْمَشْتُومَةِ وَنَدِمْتُ  
عَلَى مَا فَعَلْتُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ، ثُمَّ رَضَيْتُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَجَعَلْتُ أَقْتَصِدُ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ  
حَتَّى لَا يَنْفَدَ مَا مَعِيَ مِنَ الطَّعَامِ فِي زَمَنِ قَلِيلٍ، وَلَكِنِّي — بَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ — اسْتَنْفَذْتُ  
زَادِي كُلَّهُ وَأَيَّقَنْتُ حِينِنِي بِالْهَلَاكِ. وَإِنِّي لَكَذَلِكَ إِذْ كُشِفَ غِطَاءُ الْجُبِّ وَنَزَلَ فِيهِ رَجُلٌ

مَيِّتٌ وَرَوَجَّتُهُ — وَمَعَهَا الْأَرْغَفَةُ السَّبْعَةُ وَقُلَّةُ الْمَاءِ — ثُمَّ أَعَادُوا غِطَاءَ الْجُبِّ ثَانِيَةً، وَمَا كَادَتِ الْمَرَأَةُ تَسْتَقِرُّ فِي الْجُبِّ بَعْدَ أَنْ أَعَادُوا غِطَاءَهُ ثَانِيَةً حَتَّى مَاتَتْ مِنَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ، فَأَخَذَتْ مَا مَعَهَا مِنَ الزَّادِ وَالْمَاءِ فَكُنْتُ أَكُلُ مِنْهُ وَأَشْرَبُ مُقْتَصِدًا أَيَّامًا وَلَيْالِي، وَبَقِيَتْ أُتْرَقَبُ كُلِّ مَنْ يَدْفِنُونَهُ مِنَ الْأَحْيَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَمُوتُونَ مِنَ الرُّعْبِ فَأَخَذُوا زَادَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ الزَّمَنُ وَسَمِئَتْ الْحَيَاةُ فِي هَذَا الْجُبِّ الْمُظْلَمِ.



## (١٢) النَّجَاةُ مِنَ الْجُبِّ

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ رَأَيْتُ — لِحُسْنِ حَظِّي — شَبَابًا يَدْنُو مِنِّي فَلَمْ أَسْتَطِعْ تَمْيِيرَهُ لِظُلْمَةِ الْمَكَانِ، وَلَكِنِّي أَحْسَسْتُ أَنْفَاسَهُ عَن قُرْبٍ فَقُمْتُ خَائِفًا مَدْعُورًا، فَفَزِعَ مِنِّي ذَلِكَ الشَّبَحُ وَعَادَ مِنْ حَيْثُ أَتَى، فَتَبِعْتُهُ لِأَعْرِفَ مِنْ أَيْنَ يَخْرُجُ، فَرَأَيْتُهُ يَتَسَلَّلُ مِنْ مَنْفَذٍ صَغِيرٍ فِي آخِرِ الْحُفْرَةِ، فَلَاخَ لِي أَمَلٌ كَبِيرٌ فِي النَّجَاةِ، وَبَدَلْتُ جُهْدِي فِي تَوْسِيعِ هَذَا الْمَنْفَذِ حَتَّى تَمَّ لِي ذَلِكَ، فَخَرَجْتُ مِنْهُ، فَزَأَيْتُنِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فَفَرِحْتُ بِذَلِكَ فَرَحًا لَا يُوصَفُ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَى الْجُبِّ فَجَمَعْتُ كُلَّ مَا قَدَرْتُ عَلَى جَمْعِهِ مِنَ الْحَلِيِّ وَالْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ الَّتِي دَفَنُوهَا مَعَ الْمَوْتَى، وَوَضَعْتُهَا فِي أَثْوَابِهِمْ وَأَكْفَانِهِمْ، وَبَقِيَتْ أَذْهَبُ إِلَى الْجُبِّ كُلِّ يَوْمٍ فَأَحْمِلُ مِنْهُ

مَا أَسْتَطِيعُ حَمَلَهُ مِنْ كُنُوزٍ وَنَفَائِسَ ثُمَّ أَعُودُ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ مُتَرَقِّبًا قُدُومَ أَيِّ مَرْكَبٍ يَحْمِلُنِي إِلَى بَلَدِي أَوْ يُبْعِدُنِي عَنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْمَشْهُومَةِ.

### (١٣) مَرْكَبُ النَّجَاةِ

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ — بَيْنَمَا أَنَا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ — إِذْ لَاحَ لِي مَرْكَبٌ مِنْ بَعِيدٍ، وَلَمْ أَكُدْ أَرَاهُ حَتَّى نَهَضْتُ قَائِمًا وَأَخَذْتُ أَنَاذِرِي بِأَعْلَى صَوْتِي وَأَشِيرُ لِمَنْ فِيهِ بِيَدِي، وَأَمْسَكْتُ بِقِطْعَةٍ مِنَ الثِّيَابِ فَلَوَحْتُ لَهُمْ بِهَا، حَتَّى فَطِنُوا إِلَيَّ، فَحَوَّلُوا مَرْكَبَهُمْ إِلَى الشَّاطِئِ حَتَّى بَلَغُوهُ، فَبَدَأْتُهُمْ بِالسَّلَامِ فَرَدُّوا عَلَيَّ أَحْسَنَ رَدٍّ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَأْخُذُونِي مَعَهُمْ، فَلَمْ يَتَرَدَّدُوا فِي ذَلِكَ، وَسَأَلُونِي عَنْ قِصَّتِي فَخَشِيتُ أَنْ أَخْبِرَهُمْ بِالْحَقِيقَةِ كُلِّهَا لِئَلَّا يَكُونَ فِيهِمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ فَتَسُوءَ الْعَاقِبَةَ، وَقُلْتُ لَهُمْ: «أَنَا تَاجِرٌ وَقَدْ عَرِقَ مَرْكَبِي فَانْجَوْتُ بِهِذِهِ الثِّيَابِ عَلَى لَوْحٍ مِنَ الْخَشَبِ حَمَلَنِي إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ!»



وَعَرَضْتُ عَلَى رُبَّانِ السَّفِينَةِ هَدِيَّةً نَفِيسَةً — مُكَافَأَةً لَهُ عَلَى صَنِيعِهِ — فَرَفَضَ وَقَالَ لِي: «أَنَا لَا آخُذُ عَلَى مَعْرُوفٍ أَجْرًا وَلَا جَزَاءً» فَشَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ كُلَّ الشُّكْرِ!

### (١٤) الْعُودَةُ إِلَى الْوَطَنِ

وَعَلِمْتُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ مُسَافِرُونَ إِلَى «الْبَصْرَةِ» فَفَرِحْتُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَلَمْ يَزَلِ الْمَرْكَبُ سَائِرًا بِنَا مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ وَمِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَهُمْ يُطْعَمُونَنِي مِنْ طَعَامِهِمْ وَلَا يَبْخُلُونَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ مِمَّا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى «الْبَصْرَةِ» فَأَقَمْتُ بِهَا أَيَّامًا قَلِيلًا، ثُمَّ ذَهَبْتُ مِنْهَا إِلَى «بَغْدَادَ».

فَفَرِحَ بِي أَهْلِي وَأَصْحَابِي فَرَحًا لَا يُوصَفُ وَهَنَأُونِي بِالسَّلَامَةِ، وَوَهَبْتُ الْفُقَرَاءَ كَثِيرًا مِنْ مَالِي وَعَزَمْتُ عَلَى تَرْكِ الْأَسْفَارِ بَعْدَ مَا لَقِيْتُهُ مِنَ الْمَتَاعِبِ وَالشَّدَائِدِ.

وَلَمَّا انْتَهَى «السُّنْدِبَادُ» مِنْ كَلَامِهِ أَمَرَ لِلْحِمَالِ بِمِائَةِ دِينَارٍ فَأَخَذَهَا شَاكِرًا وَأَنْصَرَفَ هُوَ وَجَمِيعُ الْحَاضِرِينَ.

وَلَمَّا جَاءُوا فِي الْعَدِّ بَدَأَ «السُّنْدِبَادُ» يَقْصُّ عَلَيْهِمْ مَا حَدَّثَ لَهُ مِنَ الْعَجَائِبِ فِي رِحْلَتِهِ الْخَامِسَةِ فَقَالَ.



## الرحلة الخامسة

« ١ » شيخ البحر « ٢ » مدينة القرود

### (١) جَزِيرَةُ الرُّخ

لَمْ يَكْفِنِي مَا رَكِبْتُهُ مِنَ الْأَخْطَارِ، وَلَمْ يَنْزِلْ عَزِيمَتِي مَا لَقِيْتُهُ مِنَ الْمَخَافِ فِي أَسْفَارِي السَّابِقَةِ، فَقَدْ نَسِيتُ ذَلِكَ كُلَّهُ — بَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ — وَرَغِبْتُ نَفْسِي فِي السَّفَرِ وَالِاتِّجَارِ، فَأَعَدَدْتُ كُلَّ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي رِحْلَتِي مِنْ بَضَاعَةٍ وَمَتَجَرٍ، وَلَمْ أَسْتَأْجِرْ مَرْكَبًا فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ — كَمَا فَعَلْتُ فِي أَسْفَارِي السَّابِقَةِ — بَلْ اشْتَرَيْتُ مَرْكَبًا جَدِيدًا لِيَذْهَبَ بِي إِلَى حَيْثُ أُرِيدُ، وَسَافَرَ مَعِي جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ التُّجَّارِ.

ثُمَّ أَبْحَرَ بِنَا الْمَرْكَبُ مِنْ مَدِينَةِ «الْبَصْرَةِ» وَكَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالْأُمُورُ عَلَى أَحْسَنِ مَا يُرَامُ، وَمَا زِلْنَا سَائِرِينَ فِي الْبَحْرِ أَيَّامًا وَلَيَالِي حَتَّى رَسَا الْمَرْكَبُ عَلَى جَزِيرَةٍ كَبِيرَةٍ مُقْفَرَةٍ مِنَ النَّاسِ اسْمُهَا جَزِيرَةُ الرُّخِّ، فَخَطَرَ لَنَا أَنْ نَنْزَلَ بِهَا لِتُرُوحَ عَنْ أَنْفُسِنَا مَتَاعِبَ السَّفَرِ وَلَمْ نَكَدْ نَمْشِي فِيهَا قَلِيلًا حَتَّى لَاحَتْ لَنَا بَيْضَةٌ رُخٌّ كَبِيرَةٌ فِي حَجْمِ تِلْكَ الْبَيْضَةِ الَّتِي وَصَفَتْهَا لَكُمْ فِي رِحْلَتِي الثَّانِيَةِ!

## (٢) فَرُخُ الرُّخِّ

وَكَانَتْ عَلَى وَشِكِ أَنْ تُفْرِخَ، فَقَدْ أَطَلَّ فَرُخُ الرُّخِّ بِمِنْقَارِهِ مِنْهَا، وَلَمْ يَكِدْ يَرَاهُ رِفَاقِي حَتَّى  
انْدَفَعُوا إِلَى الْبَيْضَةِ يَكْسِرُونَهَا بِمَعَاوِلِهِمْ وَقُوسِهِمْ وَأَنَا أَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَأَحَذَرُهُمْ وَخَامَةَ  
الْعَاقِبَةِ، وَهُمْ لَا يُصْغُونَ إِلَى نَصْجِي وَلَا يَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا. وَمَا زَالُوا بِهَا حَتَّى حَطَّمُوهَا  
تَحْطِيمًا وَقَتَلُوا الْفَرُخَ وَأَخَذُوا شَيْئًا مِنْ لَحْمِهِ يَشْوُونَهُ عَلَى النَّارِ، حَتَّى إِذَا تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ  
أَكَلُوهُ؟



## (٣) طَائِرَا الرُّخِّ

وَمَا كَادُوا يَنْتَهُونَ مِنْ تِلْكَ الْأَكْلَةِ الْمَشْنُومَةِ حَتَّى أَظْلَمَ الْجَوُّ وَحَجَبَ عَنَّا ضَوْءَ الشَّمْسِ  
طَائِرَانِ كَبِيرَانِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمَا طَائِرَا الرُّخِّ، وَأَدْرَكَ الرُّبَانَ الْخَطَرَ الْمُحَدِّقَ بِنَا فَصَاحَ:  
«أَسْرِعُوا إِلَى الْمَرْكَبِ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ غَضَبُهُمَا وَنَقَمَتُهُمَا» فَجَرَيْنَا إِلَى الْمَرْكَبِ مُسْرِعِينَ،  
وَأَرْحَيْنَا شِرَاعَهُ فَسَارَ بِنَا بِأَفْصَى سُرْعَةٍ.

#### (٤) انتقامُ الرُّحِّ

وَكَانَ طَائِرًا الرُّحُّ قَدْ وَصَلَ إِلَى بَيْضَتَيْهِمَا فَرَأَى مَا حَلَّ بِوَلَدَيْهِمَا فَصَاحَا مِنَ الْجَزَعِ،  
أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ سَارَ بِنَا الْمَرْكَبُ حَتَّى غَابَا عَنْ أَبْصَارِنَا فَحَسِبْنَا أَنَّنَا قَدْ أَصْبَحْنَا بِمَا مَنَ مِنْ شَرِّهِمَا، وَلَكِنَّهُمَا عَادَا إِلَيْنَا — بَعْدَ قَلِيلٍ — وَفِي مِخْلَبِي كُلِّ مِنْهُمَا صَخْرَةٌ عَظِيمَةٌ،  
وَأَسْرَعَتْ أَنْتَى الرُّحِّ فَأَلْقَتْ الصَّخْرَةَ الَّتِي تَحْمِلُهَا عَلَى مَرْكَبِنَا، وَكَانَ رُبَّانُنَا ذَكِيًّا مَاهِرًا  
فَأَادَرَ فِي الْحَالِ سُكَّانَ الْمَرْكَبِ، فَانْحَرَفَ عَنِ الصَّخْرَةِ فَهَوَتْ إِلَى الْبَحْرِ وَشَقَّتِ الْمَاءَ  
نِصْفَيْنِ كِدْنَا نُبْصِرُ مِنْ خِلَالِهَا قَرَارَهُ.

#### (٥) تَحْطِيمُ الْمَرْكَبِ

وَلَمْ نَكُنْ نَفْرَحُ بِزَوَالِ هَذَا الْخَطَرِ عَنَّا، حَتَّى أَلْقَى طَيْرُ الرُّحِّ صَخْرَتَهُ عَلَى مَرْكَبِنَا، فَأَصَابَتْ  
جَانِبَهُ وَهَشَمَتْهُ تَهْشِيمًا، فَهَوَى الْمَرْكَبُ إِلَى جَوْفِ الْبَحْرِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْمَتَاعِ وَالنَّاسِ وَكِدْتُ  
أَعْرِقُ فِيمَنْ عَرِقَ لَوْلَا أَنَّنِي وَجَدْتُ لَوْحًا مِنَ الْخَشَبِ قَرِيبًا مِنِّي، فَتَعَلَّقْتُ بِهِ لِلْحَالِ.

#### (٦) جَزِيرَةُ شَيْخِ الْبَحْرِ

وَمَا زَالَ اللَّوْحُ سَائِرًا بِي فِي عُرْضِ الْبَحْرِ، وَأَنَا لَا أَعْرِفُ أَيْنَ يَسِيرُ بِي حَتَّى قَدَفْتَنِي الْأَمْوَاجُ  
— لِحُسْنِ حَظِّي — إِلَى جَزِيرَةٍ قَرِيبَةٍ، وَكَانَ شَاطِئُهَا مُرْتَفِعًا كَثِيرَ الصُّخُورِ وَالْجَارَةِ،  
فَتَمَكَّنْتُ مِنَ الصُّعُودِ إِلَيْهِ — بَعْدَ عَنَاءٍ شَدِيدٍ — وَمَا كِدْتُ أَبْلُغُهُ حَتَّى ارْتَمَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ  
مَنْهُوكَ الْقَوَى، وَلَمَّا أَفَقْتُ بَدَأْتُ أَمْشِي فِي الْجَزِيرَةِ فَرَأَيْتُهَا جَنَّةَ كَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ،  
فَأَكَلْتُ مِنْ فَاكِهَتِهَا اللَّذِيذَةِ وَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا الْعَذْبِ، وَجَلَسْتُ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ  
أَتَنَسَّمُ الْهَوَاءَ اللَّطِيفَ وَأَرَوْحُ عَنْ نَفْسِي مَا لَقِيْتُهُ مِنْ عَنَاءِ الْبَحْرِ حَتَّى جَاءَ اللَّيْلُ، فَنِمْتُ  
نَوْمًا هَادِنًا إِلَى الصَّبَاحِ.

وَقُمْتُ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ وَقَدْ عَادَ إِلَيَّ نَشَاطِي فَأَخَذْتُ أَمْشِي فِي الْجَزِيرَةِ.



## (٧) شَيْخُ الْبَحْرِ

وَلَاخَ لِي سَبْحُ مَنْ بَعِيدٍ، فَاقْتَرَبْتُ مِنْهُ، فَإِذَا بِهِ شَيْخٌ كَبِيرٌ تَبَدُّو عَلَيْهِ عَلَامَاتُ الْهَرَمِ وَضَعْفُ الشَّيْخُوخَةِ وَكَانَ جَالِسًا عَلَى نَهْرٍ فَحَسِبْتُهُ مَمَّنْ رَمَاهُمْ سُوءُ الْحَظِّ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ، وَقُلْتُ لَعَلَّ سَفِينَتَهُ غَرِقَتْ كَمَا غَرِقَتْ سَفِينَتِي، وَرَمَاهُ الْمَوْجُ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ كَمَا رَمَانِي.

فَبَدَأْتُهُ بِالتَّحِيَّةِ — وَأَنَا فَرِحُ بِلِقَائِهِ — فَهَرَّ لِي رَأْسَهُ رَدًّا عَلَى تَحِيَّتِي. فَسَأَلْتُهُ: «مَاذَا يَصْنَعُ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ؟» فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَحْمِلَهُ عَلَى ظَهْرِي إِلَى شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ النَّهْرِ لِيَقْطِفَ مِنْهَا بَعْضَ الْفَاكِهَةِ، فَأَخَذَنِي الشَّفَقَةُ عَلَيْهِ — لِضَعْفِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ — وَحَمَلْتُهُ عَلَى ظَهْرِي حَتَّى أَخَذَ مَا شَاءَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ فَاكِهَةٍ، وَأَنْحَنَيْتُ لِأُنْزِلَهُ بِرِفْقٍ فَلَمْ يَنْزِلْ.

إِنِّي كُلَّمَا ذَكَرْتُ هَذَا الشَّيْخَ لَا أَمْلِكُ نَفْسِي مِنَ الضَّجِكِ، فَقَدْ خُدِعْتُ فِيهِ، إِذْ كُنْتُ أَحْسَبُهُ شَيْخًا ضَعِيفًا فَانِيًا، ثُمَّ بَدَتْ لِي حَقِيقَةُ أَمْرِهِ، فَرَأَيْتُهُ قَوِيًّا شَدِيدَ الْقَسْوَةِ. فَقَدْ قَفَزَ عَلَيَّ كَتْفِي، وَلَفَّ سَاقِيهِ عَلَيَّ عُنُقِي بِقُوَّةٍ حَتَّى كَدْتُ أَحْتَنِقُ، وَأُغْمِي عَلَيَّ فَهَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، وَلَمَّا أَفَقْتُ وَجَدْتُ هَذَا الْعُدُوَّ الْقَاسِيَّ لَا يَزَالُ عَلَى كَتْفِي وَقَدْ فَرَجَ سَاقِيهِ قَلِيلًا بِمِقْدَارِ مَا يُمَكِّنُنِي مِنَ التَّنَفُّسِ، وَلَمَّا رَأَيْتُ قَدْ أَفَقْتُ ضَرْبِي بِسَاقِيهِ ضَرْبَاتٍ مُتَوَالِيَةً فَلَمْ أَسْتَطِعْ مُخَالَفَةَ أَمْرِهِ، وَسِرْتُ إِلَى حَيْثُ أَشَارَ، وَمَا زَالَ يَأْكُلُ مَا يَحُلُو لَهُ مِنَ الْفَاكِهَةِ وَالثَّمَرِ طَوْلَ الْيَوْمِ وَجُزْءًا مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى ضَعُفْتُ قَوَايَ فَارْتَمَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ — وَأَنَا بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ — لِشِدَّةِ مَا لَحَقَنِي مِنَ النَّعْبِ فَفَرَجَ سَاقِيهِ قَلِيلًا حَتَّى نِمْتُ، وَلَمَّا طَلَعَ الصُّبْحُ ظَلَّ يَضْرِبُنِي بِسَاقِيهِ وَيَرْكُلُنِي بِقَدَمَيْهِ حَتَّى أَتَقَطَّنِي، وَقَضَيْتُ يَوْمِي كَمَا قَضَيْتُ الْأَمْسَ مُتَأَلِّمًا أَشَدَّ الْأَلَمِ مِنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي الْحَسْبَانِ، وَلَمْ أَرْلُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مَدَّةً مِنَ الزَّمَنِ.

## (٨) الْإِنْتِقَامُ مِنْ شَيْخِ الْبَحْرِ

وَفِي نَاتِ يَوْمٍ وَجَدْتُ كَثِيرًا مِنَ الْعِنَبِ النَّاضِجِ وَإِلَى جَانِبِهِ قَرْعٌ يَابِسٌ كَبِيرٌ الْحَجْمِ، فَقَسَمْتُهُ أَنْصَافًا وَعَسَلْتُهُ بِالْمَاءِ بَعْنَانِيَّةٍ تَامَّةٍ ثُمَّ وَضَعْتُ فِيهِ شَيْئًا مِنَ الْعِنَبِ وَتَرَكْتُهُ فِي الشَّمْسِ عِدَّةَ أَيَّامٍ حَتَّى اخْتَمَرَ، وَشَرِبْتُ مِنْهُ قَلِيلًا فَبَدَتْ عَلَيَّ وَجْهِي نَشْوَةٌ الْفَرَجِ، فَأَشَارَ إِلَيَّ الشَّيْخُ الْمَلْعُونُ أَنْ أَسْقِيَهُ مِنْ ذَلِكَ الْعَصِيرِ، فَلَمْ أَتَرَدَّدْ فِي تَلْبِيَةِ طَلَبِهِ، وَمَا زَالَ يَشْرَبُ حَتَّى ذَهَبَ عَقْلُهُ وَارْتَحَتْ سَاقَاهُ، فَأَلْقَيْتُهُ عَلَى الْأَرْضِ وَأَخَذْتُ حَجْرًا كَبِيرًا فَأَلْقَيْتُهُ عَلَى رَأْسِهِ بِقُوَّةٍ فَقَتَلْتُهُ لِلْحَالِ. وَفَرِحْتُ بِهَذَا الْفَوْزِ فَرَحًا لَا يُوصَفُ.



## (٩) فِي انْتِظَارِ الْفَرَجِ

وَمَكَّنْتُ عِدَّةَ أَيَّامٍ وَأَنَا أترددُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ مُرْتَقِبًا سَفِينَةَ تَمُرٍ بِي حَتَّى أذِنَ اللَّهُ لِي بِالْخَلَاصِ مِنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الَّتِي لَا أُنِيسَ فِيهَا، فَلَاحَتْ لِي سَفِينَةٌ كَبِيرَةٌ، وَرَأَيْتُهَا تَقْتَرِبُ مِنَ الْجَزِيرَةِ فَأَشْرْتُ إِلَى مَنْ فِيهَا فَأَقْبَلُوا عَلَيَّ وَبَدَأُونِي بِالتَّحِيَّةِ، فَردَدْتُهَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ رَدٍّ، وَسَأَلُونِي عَن قِصَّتِي فَأَخْبَرْتُهُمْ بِكُلِّ مَا حَدَّثَ لِي فَعَجِبُوا مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الْعَجَبِ، وَقَالَ لِي أَحَدُهُمْ: «لَقَدْ وَقَعْتَ فِي قَبْضَةِ شَيْخِ الْبَحْرِ، وَلَوْلَا عِنَايَةُ اللَّهِ وَلُطْفُهُ بِكَ لَمَا نَجَوْتَ مِنْهُ» وَكَانَتْ هَذِهِ الْجَزِيرَةُ مَشْهُورَةً عِنْدَ التُّجَّارِ بَأَنَّ مَنْ يَصِلُ إِلَيْهَا لَا تَكْتَبُ لَهُ السَّلَامَةَ.

## (١٠) مَدِينَةُ الْقُرُودِ

وَمَكَّنْنَا مَدَّةً قَصِيرَةً مِنَ الزَّمَنِ ثُمَّ أَقْلَعْتَ بِنَا السَّفِينَةَ وَقَدْ لَقِيتُ مِنْ رَبَّانِهَا عِنَايَةً كَبِيرَةً، وَلَمْ نَزَلْ سَائِرِينَ فِي الْبَحْرِ أَيَّامًا وَلِيَالِي حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةٍ جَمِيلَةٍ سَأَلْتُ الرَّبَّانَ عَنِ اسْمِهَا فَأَخْبَرَنِي أَنَّهَا مَدِينَةُ الْقُرُودِ، وَقَدْ أَعْطَانِي أَحَدُ رِفَاقِي مَخْلَاةً كَبِيرَةً، وَكَانَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِي مَخْلَاةً مِثْلَهَا، وَسَارُوا — وَأَنَا مَعَهُمْ — فَمَلَأَ كُلُّ مِنْهُمْ مَخْلَاتَهُ بِالْحِجَارَةِ وَفَعَلْتُ فِعْلَهُمْ، وَمَا زِلْنَا سَائِرِينَ حَتَّى بَلَّغْنَا غَابَةَ كَبِيرَةً مَمْلُوءَةً بِشَجَرِ النَّارِجِيلِ «الْجُوزِ الْهِنْدِيِّ» وَعَلَى كُلِّ شَجَرَةٍ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقِرَدَةِ، فَأَخَذَ التُّجَّارُ يَرْجُمُونَهَا بِالْحِجَارَةِ — وَاقْتَدَيْتُ بِهِمْ فِي ذَلِكَ — فَرَأَيْتُ الْقِرَدَةَ قَدْ اهْتَابَتْ وَغَاظَهَا مِنَّا صَنِيعًا بِهَا، فَأَخَذَتْ تَرْمِينًا بِالنَّارِجِيلِ — وَنَحْنُ نَجْمَعُهُ — حَتَّى مَلَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا مَخْلَاتَهُ، ثُمَّ عُذْنَا إِلَى السَّفِينَةِ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي نَهَبْنَا جَمِيعًا إِلَى الْغَابَةِ وَصَنَعْنَا مَا صَنَعْنَا بِالْأَمْسِ. وَمَا زِلْنَا كَذَلِكَ عِدَّةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَمَعْنَا مِقْدَارًا كَبِيرًا مِنَ النَّارِجِيلِ، ثُمَّ أَبْحَرْتُ بِنَا السَّفِينَةَ أَيَّامًا وَلِيَالِي حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى بَلَدٍ كَبِيرٍ فَبِعْنَا فِيهِ مَا مَعَنَا مِنَ النَّارِجِيلِ بِأَعْلَى ثَمَنِ وَاشْتَرَيْنَا بِثَمَنِهِ كَثِيرًا مِنَ التَّوَابِلِ وَخَشَبِ الصَّنَدَلِ.

## (١١) عَوَاصِو اللُّؤْلُؤِ

وَمَا زِلْنَا نَنْتَقِلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَنَتَجَرُّ فِي كُلِّ مَكَانٍ نَحْلُ بِهِ حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى بَلَدٍ كَبِيرٍ حَيْثُ رَأَيْنَا عَوَاصِي اللُّؤْلُؤِ يَغُوصُونَ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ رَغْبَةً فِي الْحُصُولِ عَلَيْهِ، فَطَلَبْتُ إِلَى أَحَدِ الْغَوَاصِينَ أَنْ يَنْزِلَ إِلَيَّ قَرَارَ الْبَحْرِ وَيَجْمَعُ لِي مَا يُصِيبُهُ مِنَ اللُّؤْلُؤِ وَأَعْطِيْتُهُ أَجْرَهُ عَلَى ذَلِكَ فَفَعَلَ وَكَانَ حَظِّي سَعِيدًا فَخَرَجَ وَمَعَهُ مِنَ اللُّؤْلُؤِ شَيْءٌ كَثِيرٌ.

## (١٢) الْعُودَةُ إِلَى الْوَطَنِ

وَعُدْتُ إِلَى «الْبَصْرَةِ» وَمَعِيَ مِنَ الْمَالِ وَاللُّؤْلُؤِ وَخَشَبِ الصَّنَدَلِ ثَرَوَةٌ طَائِلَةٌ، ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْ «الْبَصْرَةِ» إِلَى «بَغْدَادَ» فَلَقِيْتَنِي أَهْلِي وَأَصْحَابِي فَرَجِحِينَ بِعُودَتِي سَالِمًا، وَتَصَدَّقْتُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ بِمَالٍ كَثِيرٍ وَعَزَمْتُ عَلَى الْبَقَاءِ فِي «بَغْدَادَ» طَوْلَ عُمْرِي أَمِنًا مُطْمَئِنًّا.

وَلَمَّا انْتَهَى «السَّنْدِبَادُ» مِنْ كَلَامِهِ أَمَرَ لِلْحَمَالِ بِمِائَةِ دِينَارٍ فَأَخَذَهَا دَاعِيًا لَهُ وَأَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِ شَاكِرًا مَسْرُورًا وَخَرَجَ مَعَهُ جَمِيعُ الْحَاضِرِينَ، عَلَى أَنْ يَعودُوا إِلَى «السَّنْدِبَادِ» فِي الْغَدِ.

وَلَمَّا حَضَرُوا فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ بَدَأَ «السَّنْدِبَادُ» يَقْصُ عَلَيْهِمْ رِحْلَتَهُ السَّادِسَةَ فَقَالَ.



## الرحلة السادسة

في جزيرة الهلاك

### (١) بَعْدَ عَامٍ

لَعَلَّكُمْ تَعْجَبُونَ أَشَدَّ الْعَجَبِ حِينَ تَعْلَمُونَ أَنَّنِي لَمْ أَتُبْ عَنِ السَّفَرِ بَعْدَ مَا لَقِيْتُهُ فِي  
أَسْفَارِي الْخَمْسَةِ مِنَ الْأَخْطَارِ وَالْمَهَالِكِ، وَلَكُمُ الْعُذْرُ فِي هَذِهِ الدَّهْشَةِ، فَإِنِّي — أَنَا نَفْسِي  
— أَعْجَبُ مِثْلَكُمْ مِنْ تِلْكَ الْمَجَازِفَةِ وَلَكِنَّ قِضَاءَ اللَّهِ لَا مَفْرَ مِنْهُ، فَقَدْ سَوَّلَتْ نَفْسِي الْأَمَّارَةَ  
بِالسُّوءِ أَنْ أَشْقَى بَعْدَ الرَّاحَةِ وَأَحْتَمِلَ مِنَ اللَّالَامِ وَالْمَخَافِ فَوْقَ مَا احْتَمَلْتُ مِنْ قَبْلُ.  
بَعْدَ أَنْ بَقِيْتُ فِي «بَعْدَادَ» سَنَةً كَامِلَةً نَاعِمًا مُرْتَاحَ الْقَلْبِ، وَعَاوَدَنِي شَوْقُ شَدِيدٍ إِلَى السَّفَرِ  
وَالِاتِّجَارِ، وَبَدَلَ أَصْدِقَائِي كُلِّ مَا فِي وَسْعِهِمْ مِنْ نُصْحٍ لِيُنْتِنُوا عَرِيْمَتِي وَيَعُوَّقُونِي عَنِ  
السَّفَرِ فَلَمْ يُفْلِحُوا.

### (٢) هُبُوبُ الْعَاصِفَةِ

وَلَمَّا أَعَدَدْتُ عُدَّتِي وَاشْتَرَيْتُ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْبَضَائِعِ سَافَرْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ حَيْثُ  
أَبْحَرْتُ وَجَمَاعَةً مِنَ التُّجَّارِ قَاصِدِينَ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ، وَمَا زِلْنَا سَائِرِينَ فِي الْبَحْرِ أَيَّامًا  
وَلَيَالِي حَتَّى هَبَّتْ عَلَيْنَا — ذَاتَ يَوْمٍ — عَاصِفَةٌ شَدِيدَةٌ، فَظَلَّتِ الْأَمْوَاجُ تَلْعَبُ بِالْمَرْكَبِ  
وَأَصْبَحْنَا مُهَدَّدِينَ بِالْعَرَقِ بَيْنَ سَاعَةٍ وَأُخْرَى، وَمَكَّنْتَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ يَوْمًا وَلَيْلَةً، ثُمَّ

هَذَاتِ الْعَاصِفَةِ، بَعْدَ أَنْ ضَلَّتْ سَفِينَتُنَا وَأَصْبَحْنَا لَا نَعْرِفُ فِي أَيِّ مَكَانٍ نَحْنُ وَلَا إِلَى أَيِّ  
جِهَةٍ نَقْصِدُ، وَلَا حِجَابٌ لَنَا جَبَلٌ شَاهِقٌ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَبَيَّنُهُ الرَّبَّانُ حَتَّى صَرَخَ  
مِنَ الْجَزَعِ وَبَكَى، فَسَأَلْنَاهُ: «مَاذَا حَدَثَ؟» فَأَجَابَنَا مُتَأَثِّرًا حَزِينًا: «لَقَدْ كُتِبَ عَلَيْنَا الْهَلَاكُ  
فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ، وَلَمْ يَبْقَ لَنَا أَمَلٌ فِي النِّجَاةِ مِنَ الْمَوْتِ، فَادْعُوا اللَّهَ وَاسْتَعْفِرُوا لِذُنُوبِكُمْ  
وَلْيُودِعْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ بِكُمْ الْهَلَاكُ فَإِنَّ سَفِينَتَنَا سَتَصْطَلِمُ — لَا مَحَالَةَ —  
بِهَذَا الْجَبَلِ الْعَالِيِّ الَّذِي تَرُونَهُ، وَلَمْ يَنْجُ مَرْكَبٌ وَصَلَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ!»

وَلَمْ يَكُنْ يُبَيِّنُ الرَّبَّانُ قَوْلَهُ حَتَّى رَأَيْنَا الْأَمْوَاجَ تَدْفَعُ الْمَرْكَبَ دَفْعًا إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ، وَحَاوَلْنَا  
أَنْ نُحَوِّلَ مَرْكَبَنَا إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى فَلَمْ نَفْلِحْ، وَمَا زَالَتِ السَّفِينَةُ سَائِرَةً بِسُرْعَةٍ هَائِلَةٍ حَتَّى  
وَصَلَتْ إِلَى الْجَبَلِ فَاصْطَلَمَتْ بِهِ صَدْمَةً عَنيفَةً حَطَّمَتْهَا تَحْطِيمًا وَفَكَّكَتْ أَلْوَاحَهَا وَأَسْرَعَ  
كُلُّ مَنْأ إِلَى لَوْحٍ مِنَ الْخَشَبِ لِيَنْجُو بِهِ مِنَ الْغَرَقِ بَعْدَ أَنْ أَخَذْنَا مِنَ السَّفِينَةِ أَنْفَسَ مَا  
فِيهَا، وَمَا زِلْنَا مُجَدِّينَ فِي طَلَبِ الْخَلَاصِ حَتَّى تَمَكَّنَّا — بَعْدَ جَهْدٍ جَهِيدٍ — مِنَ الصُّعُودِ  
إِلَى الشَّاطِئِ حَيْثُ وَضَعْنَا مَا حَمَلْنَاهُ مِنَ الزَّادِ وَالنَّفَائِسِ، فَقَالَ لَنَا الرَّبَّانُ: «يَجِبُ عَلَيْنَا  
أَنْ نَحْفِرَ قُبُورَنَا بِأَيْدِينَا، فَلَيْسَ لَنَا أَمَلٌ فِي النِّجَاةِ مِنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الَّتِي لَمْ تُكْتَبِ السَّلَامَةُ  
لِأَيِّ سَفِينَةٍ وَصَلَتْ إِلَيْهَا»

### (٣) فِي جَزِيرَةِ الْهَلَاكِ — عِظَامُ الْمَوْتَى

وَقَدْ تَبَيَّنَ لَنَا صِدْقُ قَوْلِهِ، فَقَدْ رَأَيْنَا أَمَامَنَا كَثِيرًا مِنْ بَقَايَا السُّفْنِ الْمُحَطَّمَةِ وَلَا حَتَّ مَنَّا  
التِّفَاتُ فَرَأَيْنَا كَوْمَةً مِنْ عِظَامِ الْمَوْتَى فَعَلِمْنَا أَنْ مَصِيرَنَا سَيَكُونُ — بِلَا شَكٍّ — مِثْلَ  
مَصِيرِهِمْ وَأَيَقِنَّا أَنْ أَيَّامَنَا فِي الْحَيَاةِ مَعْدُودَةٌ، وَقَطَعْنَا الْأَمَلَ مِنَ النِّجَاةِ، وَكُنَّا نَرَى فِي كُلِّ  
مَكَانٍ — عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ — بَضَائِعَ وَذَخَائِرَ نَفِيسَةً مَطْرُوحَةً عَلَى الصُّخُورِ فَذَكَرُ  
مِصَارِعَ أَصْحَابِهَا مُتَرَقِّبِينَ اللَّحَاقَ بِهِمْ بَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ.  
وَوَجَدْنَا نَهْرًا عَلَى سَفْحِ الْجَبَلِ يَخْرُجُ مِنْ كَهْفٍ مُظْلِمٍ دُونَ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ مَا وَرَاءَ  
هَذَا الْكُهْفِ، وَرَأَيْنَا كَثِيرًا مِنَ الْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ — كَالْمَاسِ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّمُرِّدِ — مُبَعَثَرَةً  
فِي كُلِّ مَكَانٍ فَلَمْ نَلْتَمِثْ إِلَيْهَا وَمَا عَنِي أَحَدٌ مِنَّا بِجَمْعِهَا.



وَبَقِينَا يَا بُنَيَّ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الْمُوَحَّشَةِ لَا أَمَلَ لَنَا فِي النِّجَاةِ لِأَنَّ كُلَّ مَرْكَبٍ نَتَرَقَّبُ وَصَوْلَهُ  
إِلَيْنَا يَكُونُ نَصِيبَهُ أَنْ يُحْطَمَ كَمَا حُطِمَ مَرْكَبُنَا وَيَلْقَى مَنْ فِيهِ مِثْلُ مَا لَقِينَا.  
وَقَدْ قَسَمَ الرَّبَّانُ مَا مَعَنَا مِنَ الزَّادِ قِسْمَةً عَادِلَةً.

#### (٤) بَعْدَ فَرَاغِ الزَّادِ

وَبَقِينَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ حَتَّى نَبْغِدَ مَا مَعَ رِفَاقِي مِنَ الزَّادِ فَمَاتُوا جُوعًا —  
وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ — وَدَفَنْتَهُمْ جَمِيعًا وَبَقِيتُ وَحْدِي بَعْدَهُمْ أَتَرَقَّبُ الْمَوْتَ، وَكُنْتُ أَقْتَصِدُ  
فِي طَعَامِي فَلَا أَقْتَاتُ إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا أَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الْحَيَاةِ حَتَّى أَوْشَكَ زَادِي أَنْ يَنْفَدَ،  
وَجَعَلْتُ أَفَكِّرُ فِي هَذِهِ الْخَاتِمَةِ الْمُخْزِنَةِ وَاللُّومُ نَفْسِي عَلَى هَذِهِ الرَّحْلَةِ الْمَشْتُومَةِ.



## (٥) الْأَمَلُ بَعْدَ الْيَأْسِ

وَلَكِنِّي لَمْ أَسْتَسْلِمَ لِلْيَأْسِ فَمَشَيْتُ إِلَى النَّهْرِ، وَجَعَلْتُ أَسَائِلُ نَفْسِي وَأَنَا أَنَأَمَلُهُ: «أَيْنَ يَذْهَبُ هَذَا النَّهْرُ بَعْدَ أَنْ يَجْتَازَ الْكُهْفَ؟ إِنَّهُ لَا بُدَّ آتٍ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أَهْلٌ بِالسُّكَّانِ خَلْفَ هَذَا الْجَبَلِ الْعَالِي!» وَخَطَّرَ لِي أَنْ أَصْنَعَ زُورِقًا، وَقُلْتُ لِنَفْسِي: «إِنِّي إِنْ بَقِيتُ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ فَأَنَا هَالِكٌ لَا مَحَالَةَ، فَإِذَا رَكِبْتُ زُورِقًا وَهَلَكْتُ دَاخِلَ الْكُهْفِ فَلَنْ أَحْسَرَ شَيْئًا. وَأَكُونُ قَدْ بَدَلْتُ مَا فِي وَسْئِي وَلَمْ أَقْصُرْ فِي شَيْءٍ. وَمَنْ يَدْرِي فَرُبَّمَا نَجَوْتُ مِنَ الْهَلَاكِ بِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ».

## (٦) زُورِقُ النِّجَاةِ

وَلَمْ أَتَرَدَّدْ فِي إِنْفَاذِ هَذِهِ الْفِكْرَةِ الْجَرِيئَةِ فَجَمَعْتُ مِنْ أَلْوَاحِ الْخَشَبِ مَا يَكْفِي لِصُنْعِ زُورِقٍ صَغِيرٍ، وَلَمَّا أْتَمَمْتُهُ أَنْزَلْتُهُ إِلَى النَّهْرِ وَمَلَأْتُهُ بِقَدْرِ مَا يَسْتَطِيعُ حَمْلُهُ مِنَ الذَّخَائِرِ النَّفِيسَةِ وَالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ الْمُبَعَّرَةِ فِي أَنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ، وَصَنَعْتُ مِجْدَافَيْنِ صَغِيرَيْنِ، وَصَحَّتْ عَزِيمَتِي عَلَى دُخُولِ ذَلِكَ الْكُهْفِ لِمَعْرِفَةِ مَا وَرَاءَهُ.

## (٧) فِي ظُلْمَةِ الْكُهْفِ

فَرَكِبْتُ زُورِقِي الصَّغِيرَ وَجَعَلْتُ أُجَدِّفُ فَرَأَيْتُ الزُّورَقَ يَسِيرُ بِي دَاخِلَ الْكُهْفِ بِسُرْعَةٍ، وَوَجَدْتَنِي فِي ظِلَامٍ دَامِسٍ، وَبَقِيتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مُدَّةً طَوِيلَةً حَسِبْتُهَا — لِهَوْلِ مَا أَنَا فِيهِ — أَيَّامًا وَلَيَالِي، وَشَعَرْتُ بِأَنَّ الْمَكَانَ يَزْدَادُ ضَيْقًا حَتَّى كَادَ زُورِقِي الصَّغِيرُ يَتَحَطَّمُ، وَخَشَيْتُ أَنْ يَصْطَدِّمَ رَأْسِي بِسَقْفِ الْكُهْفِ فَاسْتَلْقَيْتُ عَلَى ظَهْرِي، ثُمَّ أَجْهَدَنِي الْجُوعُ وَالتَّعَبُ وَعَلْبَنِي النُّعَاسُ فَنِمْتُ نَوْمًا عَمِيقًا.

(٨) الْخَلَاصُ مِنْ جَزِيرَةِ الْهَلَاكِ

وَلَمَّا اسْتَيْقَظْتُ وَجَدْتَنِي قَدْ حَرَجْتُ مِنْ ظُلْمَةِ الْكَهْفِ إِلَى سَهْلٍ فَسِيحٍ، وَرَأَيْتُ زَوْرَقِي مَرْبُوطًا إِلَى جَانِبِ النَّهْرِ وَحَوْلِي جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ نَظَرَاتِ الْعُطْفِ وَالِدَّهْشَةِ، فَهَضْتُ شَاكِرًا لَهُمْ حُسْنَ صَنِيعِهِمْ وَحَيِّئُهُمْ بِتَحِيَّةِ الْإِخْلَاصِ وَالْمَوَدَّةِ فَرَدُّوا عَلَيَّ بِكَلَامٍ لَمْ أَفْهَمُهُ، وَلَمْ أَكُذْ أَتَّبِينِ أَنَّنِي قَدْ نَجَوْتُ مِنْ جَزِيرَةِ الْهَلَاكِ حَتَّى امْتَلَأْتُ نَفْسِي فَرَحًا فَأَنْشَدْتُ قَوْلَ الْقَائِلِ:

«مَا بَيْنَ عَمَصَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا يُغَيِّرُ اللَّهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ»



(٩) فِي جَزِيرَةِ سَرَنْدِيبَ

وَكَانَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ يَعْرِفُ الْعَرَبِيَّةَ فَفَهَمَ كَلَامِي وَعَرَفَ أَنَّي عَرَبِيٌّ فَأَقْتَرَبَ مِنِّي وَقَالَ: «لَا تَعْجَبْ يَا أَخِي وَلَا تَخَشَّ شَيْئًا فَأَنْتَ فِي بِلَادِنَا، وَقَدْ رَأَيْتَنَا نَائِمًا فِي هَذَا الزُّورِقِ فَخَشِينَا عَلَيْكَ الْغَرَقَ وَرَبَطْنَاهُ إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ، وَمَكَّنْنَا حَوْلَكَ حَتَّى اسْتَيْقَظْتَ مِنْ نَوْمِكَ، فَقُلْ لَنَا مِنْ أَيِّ مَكَانٍ أَتَيْتَ وَإِلَى أَيِّ مَكَانٍ تَقْصِدُ؟»

فَسَأَلْتُهُ: «وَأَيْنَ أَنَا الْآنَ؟»

فَقَالَ لِي: «أَنْتَ فِي جَزِيرَةِ سَرَنْدِيبَ.»

فَقُلْتُ لَهُ: «إِنِّي أَكَادُ أَهْلُكَ جُوعًا.»

فَأَسْرَعَ بِإِحْضَارِ الطَّعَامِ فَأَكَلْتُ حَتَّى شَبِعْتُ ثُمَّ قَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي فَتَرَجَّحَهَا لِأَصْحَابِهِ فَعَجَبُوا أَشَدَّ الْعَجَبِ وَقَالُوا لِي: «إِنَّ قِصَّتَكَ عَجِيبَةٌ وَلَا بُدَّ مِنْ ذَهَابِكَ مَعَنَا إِلَى الْمَلِكِ لِتَقْصِصَهَا عَلَيْهِ.»

(١٠) فِي حَضْرَةِ مَلِكِ سَرَنْدِيبَ

وَأَرْكَبُونِي جَوَادًا وَحَمَلُوا زُورِقِي — بِمَا فِيهِ — عَلَى أَكْتَافِهِمْ، وَلَمْ نَزَلْ سَائِرِينَ حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَمَّا مَلَّتُ بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ حَيَّتُهُ فَهَشَّ لِلْقَائِي وَرَدَّ عَلَيَّ التَّحِيَّةَ أَحْسَنَ رَدٍّ وَسَأَلَنِي عَنِ اسْمِي فَقُلْتُ لَهُ: «اسْمِي السُّنْدِبَادُ وَيَدْعُونِي النَّاسُ بِاسْمِ السُّنْدِبَادِ الْبَحْرِيِّ لِكَثْرَةِ أَسْفَارِي وَرُكُوبِي الْبِحَارِ.»

فَسَأَلَنِي الْمَلِكُ: «وَكَيْفَ وَصَلْتَ إِلَى هُنَا؟»

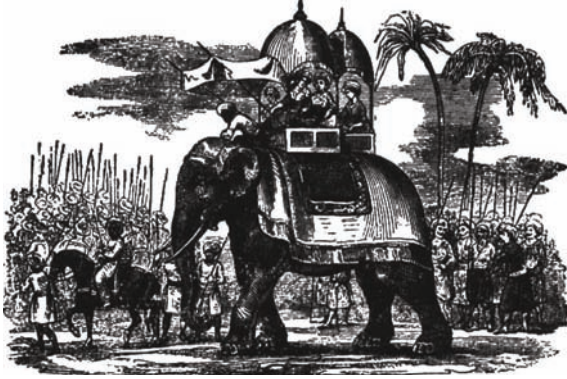
فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ كُلَّ مَا حَدَّثَ لِي وَلَمْ أَكْتُمْ عَنْهُ شَيْئًا، فَدَهَشَ الْمَلِكُ لِذَلِكَ أَشَدَّ دَهْشَةً، وَفَرَحَ بِنَجَاتِي وَأَمَرَ أَنْ تُكْتَبَ قِصَّتِي بِمِدَادٍ مِنَ الذَّهَبِ لِعَرَابَتِهَا وَلِمَا فِيهَا مِنَ الْعَبَرِ.

ثُمَّ رَأَى الْمَلِكُ مَا فِي الزُّورِقِ مِنْ كُنُوزٍ وَنَفَائِسَ، وَنَظَرَ إِلَى مَا يَحْوِيهِ مِنَ الْمَرْجَانِ وَالزُّمُرُودِ وَالْمَاسِ وَهُوَ مُكَدِّسٌ أَكْدَاسًا فَوَجَدَهُ أَتَمَّنَ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ، وَأَبْدَى دَهْشَتَهُ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ مُعْجَبًا بِتِلْكَ الْكُنُوزِ الَّتِي لَا تَقُومُ بِتَمَنِّ عَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَقُلْتُ لَهُ: «إِنِّي وَجَمِيعَ مَا أَمْلِكُ طَوْعُ أَمْرِكَ.»

فَأَجَابَنِي مُبْتَسِمًا: «كَلَّا يَا سِنْدُبَادُ، إِنَّ كُنُوزَكَ مَلِكٌ لَكَ لَا يُنَازِعُكَ فِيهَا أَحَدٌ، وَلَسْتُ طَامِعًا فِيهَا، وَلَنْ أَخَذَ مِنْهَا شَيْئًا بَلْ أَزِيدُهَا لَكَ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ وَمَتَّعَكَ بِهَا!» فَشَكَرْتُهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا جَزِيلًا.

### (١١) فِي ضِيَاةِ مَلِكِ سَرَنْدِيبَ

وَأَعَدَّ لِي الْمَلِكُ مَنْزِلًا مِنْ أَفْحَمِ مَنْازِلِهِ وَنَقَلَ إِلَيْهِ كُنُوزِي وَدَخَائِرِي وَهَيَأَ لِي كُلَّ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ عَبِيدٍ وَخَدَمٍ وَغَمْرَنِي بِكَرَمِهِ وَعَطْفِهِ، وَهُوَ مَلِكٌ عَادِلٌ تُحِبُّهُ الرَّعِيَّةُ وَتُخْلِصُ لَهُ إِخْلَاصًا شَدِيدًا، وَمِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَرْكَبَ الْفِيلَ فِي مَوْكِبٍ حَافِلٍ أَيَّامَ الْأَعْيَادِ الْعَامَّةِ، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي يَوْمٌ دُونَ أَنْ أَزُورَهُ وَأُكْرِّمَ لَهُ الشُّكْرَ عَلَى هَذِهِ الْعِنَايَةِ الْعَظِيمَةِ، ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَرَى فِيهَا غَرَائِبَ وَأَعَاجِيبَ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصِفَهَا لَكُمْ لِكَثْرَتِهَا.



### (١٢) عَجَائِبُ سَرَنْدِيبَ

وَمِمَّا أَذْكَرُهُ لَكُمْ مِنْ عَجَائِبِهَا — عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ — أَنْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فِيهَا مُتَسَاوِيَانِ فِي الطُّولِ دَائِمًا بِسَبَبِ وَقُوعِهَا عَلَى خَطِّ الاسْتِوَاءِ، وَأَنَّ فِيهَا جَبَلًا مِنْ أَعْلَى جِبَالِ الدُّنْيَا، وَلَقَدْ كُنْتُ أَصْعَدُ إِلَى قِمَّتِهِ أَحْيَانًا لِأُمْتِّعَ نَفْسِي بِجَمَالِ الطَّبِيعَةِ الْفَاتِنِ كَمَا كُنْتُ أَذْهَبُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فَأَرَى الْعَوَاصِينَ يَسْتَحْرِجُونَ اللُّؤْلُؤَ!

### (١٣) كِتَابُ الْمَلِكِ إِلَى الْخَلِيفَةِ

وَمَكَتُّ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الْجَمِيلَةِ عِدَّةَ أَيَّامٍ ثُمَّ اشْتَأَقْتُ نَفْسِي إِلَى رُؤْيَةِ وَطَنِي وَالْعُودَةِ إِلَى بِلَادِي، فَاسْتَأْذَنْتُ الْمَلِكَ فِي السَّفَرِ فَتَفَضَّلَ عَلَيَّ بِالْإِذْنِ فِي ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَمَرَ لِي بِكَثِيرٍ مِنَ الْهَدَايَا الْغَالِيَةِ. وَلَمَّا جَاءَ يَوْمُ السَّفَرِ وَدَعَانِي وَحَمَلَنِي كِتَابًا رَقِيقًا إِلَى الْخَلِيفَةِ «هَارُونَ الرَّشِيدِ» وَهَدَايَا نَفِيسَةً لَا تَقُومُ بِثَمَنِ.

### (١٤) الْعُودَةُ إِلَى بَغْدَادَ

ثُمَّ أَبْحَرْتُ بِي السَّفِينَةَ إِلَى بِلَادِي، وَلَمْ تَزَلْ سَائِرَةً أَيَّامًا وَلَيَالِي حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى «الْبَصْرَةِ» حَيْثُ سَافَرْتُ إِلَى «بَغْدَادَ» فَقَابَلَنِي أَهْلِي وَأَصْحَابِي أَحْسَنَ مُقَابَلَةٍ، وَتَصَدَّقْتُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَأَجَزَلْتُ لَهُمُ الْعَطَاءَ وَعَزَمْتُ عَلَى تَرْكِ السَّفَرِ وَالْبَقَاءِ فِي «بَغْدَادَ» طَوْلَ عُمْرِي حَتَّى لَا أَعْرِضَ نَفْسِي لِلْأَخْطَارِ وَالْمَخَاوِفِ بَعْدَ مَا نَجَوْتُ مِنْهَا.

### (١٥) فِي حَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ

ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى الْخَلِيفَةِ «هَارُونَ الرَّشِيدِ» فَمَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي وَقَدَّمْتُ لَهُ مَا أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ مَلِكُ «سَرَنْدِيبَ» مِنَ الْهَدَايَا النَّفِيسَةِ، فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ عَجَبًا شَدِيدًا. وَقَرَأَ كِتَابَ الْمَلِكِ فَرَأَهُ يَفِيضُ بِالرِّقَّةِ وَالْمُودَةِ وَالْإِحْلَاصِ، فَشَكَرَنِي عَلَى ذَلِكَ وَأَمَرَ لِي بِجَائِزَةٍ حَسَنَةٍ وَشَمَلَنِي بِعَطْفِهِ وَحُبِّهِ.

الرحلة السادسة

وَلَمَّا فَرَغَ «السُّنْدِبَادُ» مِنْ كَلَامِهِ أَمَرَ لِلْحَمَّالِ بِمِائَةِ دِينَارٍ فَأَخَذَهَا مِنْهُ شَاكِرًا وَأَنْصَرَفَ  
مَعَ جَمِيعِ الْحَاضِرِينَ.  
وَلَمَّا حَضَرُوا فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ أَخَذَ «السُّنْدِبَادُ» يُقْصُّ عَلَيْهِمْ رِحْلَتَهُ السَّابِعَةَ فَقَالَ.



## الرحلة السابعة

مع الأفيال

### (١) تَوْبَةُ السَّنْدِبَادِ عَنِ السَّفَرِ

عَزَمْتُ — بَعْدَ أَنْ عُدْتُ مِنْ رِحْلَتِي السَّادِسَةِ — عَلَى تَرْكِ الْأَسْفَارِ بَعْدَ مَا لَقِيْتُهُ فِيهَا مِنَ الْمَخَافِ وَالْأَخْطَارِ الَّتِي تَشِيْبُ مِنْ هَوْلِهَا الْوِلْدَانَ. وَعَاهَدْتُ نَفْسِي عَهْدًا وَثِيْقًا أَنْ أَقْضِيَ الْبَقِيَّةَ الْبَاقِيَةَ مِنْ عُمْرِي فِي رَاحَةٍ وَطَمَئِينَةٍ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحْتُ شَيْخًا كَبِيرَ السِّنِّ، وَكَرِهْتُ نَفْسِي الْغُرْبَةَ وَالسَّفَرَ وَشَعَرْتُ بِمَيْلٍ شَدِيدٍ إِلَى الرَّاحَةِ فَتُبْتُ عَنِ السَّفَرِ تَوْبَةً صَادِقَةً وَصَحَّ عَزْمِي عَلَى الْبَقَاءِ فِي «بَغْدَادَ» نَاعِمًا هَادِيًا الْبَالِ لَا يُعَكِّرُ صَفْوِي أَيُّ كَدَرٍ.

### (٢) نَقْضُ التَّوْبَةِ

تَمَنَيْتُ أَنْ تَنْصَرِفَ عَنِّي دَوَاعِي السَّفَرِ وَالْإِعْتِرَابِ، وَلَكِنْ مَا كُلُّ مَا يَنْمَنَى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ، فَقَدْ عَرَضَ لِي مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحِسْبَانِ إِذْ جَاءَنِي رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ الْخَلِيفَةِ «هَارُونَ الرَّشِيدِ» يَسْتَدْعِينِي إِلَى مُقَابَلَتِهِ — وَكُنْتُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ جَالِسًا بَيْنَ أَصْدِقَائِي مُطْمَئِنًّا الْبَالِ — فَلَمْ أَتَرَدَّدْ فِي تَلْبِيَةِ الْأَمْرِ.





وَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ حَيَّيْتُهُ فَرَحَبَ بِقُدُومِي ثُمَّ قَالَ لِي: «لَقَدْ اخْتَرْتُكَ يَا سَنْدِبَادُ — دُونَ سِوَاكَ مِنَ النَّاسِ — لِتَذْهَبَ إِلَى مَلِكِ «سَرَنْدِيبَ» وَتَحْمِلَ إِلَيْهِ هَذِهِ الْهَدِيَّةَ وَتَبْلُغَهُ سَلَامِي وَتَحِيَّاتِي» فَوَقَعَ عَلَيَّ هَذَا الْخَبْرُ وَقُوعَ الصَّاعِقَةِ، وَقُلْتُ لَهُ: «أَنَا عَبْدُكَ الْخَاضِعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَ فِي قُدْرَتِي أَنْ أَعْصِيَ لَكَ أَمْرًا، وَلَكِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَنْ تُعْفِينِي مِنَ الْقِيَامِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَقَدْ تَبْتُ عَنِ السَّفَرِ تَوْبَةً صَادِقَةً وَأَقْسَمْتُ أَلَّا أَفَارِقَ بَلَدِي، وَقَدْ أَصْبَحْتُ الْآنَ شَيْخًا كَبِيرَ السِّنِّ لَا قُدْرَةَ لِي عَلَى السَّفَرِ وَمَنَاعِيهِ!»

ثُمَّ قَصَصْتُ عَلَيْهِ كُلَّ مَا حَدَّثَ لِي فِي أَسْفَارِي السَّابِقَةِ مِنَ الْأَخْطَارِ وَالْمَخَافِ وَفَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الْعَجَبِ وَقَالَ لِي: «حَقًّا إِنَّ قِصَّتَكَ هَذِهِ مِنْ أَعْجَبِ مَا سَمِعْتُ وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَعْهَدَ إِلَيْكَ بِمَا أَرَدْتُ، وَلَسْتُ أَكُفِّكَ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى مَلِكِ «سَرَنْدِيبَ» وَتَحْمِلَ إِلَيْهِ هَدِيَّتِي وَتَحِيَّاتِي ثُمَّ تَعُودَ إِلَيْنَا سَالِمًا أَمِنًا، فَلَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يَبْدَأَنِي بِالْوَدِّ وَالْإِخْلَاصِ فَلَا أُجِيبُهُ بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ مِنَ الشُّكْرِ وَالنِّئَانَةِ؟»

#### (٤) السَّفَرُ إِلَى جَزِيرَةِ سَرَنْدِيبَ

فَلَمْ أَسْتَطِعْ مُخَالَفَةَ أَمْرِهِ، وَأَجَبْتُهُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَفَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا وَمَنَحَنِي أَلْفَ دِينَارٍ — مُكَافَأَةً لِي عَلَى ذَلِكَ — ثُمَّ أَمَرَ لِي بِمَالٍ كَثِيرٍ — فَوْقَ مَا أَعْطَانِي — لِأُنْفِقَ مِنْهُ عَلَى هَذِهِ الرَّحْلَةِ.

فَسَافَرْتُ بِهَدِيَّتِهِ وَكِتَابِهِ إِلَى جَزِيرَةِ «سَرَنْدِيبَ» وَطَابَتْ لَنَا الرِّيحُ أَيَّامًا وَلِيَالِي حَتَّى وَصَلْنَا إِلَيْهَا سَالِمِينَ.

#### (٥) فِي حَضْرَةِ مَلِكِ سَرَنْدِيبَ

وَلَمْ أَكُذْ أَنْهَبُ إِلَى مَلِكِ «سَرَنْدِيبَ» حَتَّى أَقْبَلَ عَلَيَّ وَفَرِحَ بِقُدُومِي فَرَحًا شَدِيدًا وَقَالَ لِي: «لَقَدْ كُنْتُ فِي شَوْقٍ شَدِيدٍ إِلَيْكَ يَا سِنْدِبَادُ، وَكُنْتُ كَثِيرًا مَا أُتْنِي عَلَيْكَ وَأَعْجَبَ بِصِدْقِ عَزِيمَتِكَ.»

فَشَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ، وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ كِتَابَ الْخَلِيفَةِ وَهَدِيَّتَهُ فَسَرَّ بِهِمَا سُورًا عَظِيمًا، وَمَكَّنْتُ فِي ضِيَاغَتِهِ أَيَّامًا كَثِيرَةً ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُهُ فِي الْعُودَةِ إِلَى بَلَدِي فَأَسْفَ عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ الْأَسْفِ، وَلَمْ يَأْذَنْ لِي فِي السَّفَرِ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ عَظِيمٍ لِشِدَّةِ تَعَلُّقِهِ بِي، وَأَهْدَانِي شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ النَّفَائِسِ وَالتَّحْفِ فَاقْبَلْتُهَا شَاكِرًا، ثُمَّ وَدَّعْتُهُ وَأَنَا أَسْفُ عَلَى فِرَاقِهِ.

#### (٦) لُصُوصُ الْبَحْرِ

وَرَأَيْتُ إِحْدَى السُّفُنِ ذَاهِبَةً إِلَى «الْبُصْرَةِ» فَنَزَلْتُ إِلَيْهَا وَسَارَتْ بِنَا فِي الْبَحْرِ وَكَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالْأَمُورُ عَلَى مَا يُرَامُ فَبَقِينَا أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ نَلْهُو وَنَلْعَبُ وَنُعْنِي فَرِحِينَ بِقُرْبِ الْعُودَةِ إِلَى الْوَطَنِ، وَفِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ فَاجَأَنَا لُصُوصُ الْبَحْرِ فَفَقَتَلُوا كُلَّ مَنْ قَاوَمَهُمْ شَرًّا قَتَلْتُهُ وَسَلَبُوا مَا مَعَنَا مِنْ ثَرْوَةٍ وَمَتَاعٍ وَأَسْرُوا مَنْ بَقِيَ مِنَّا وَوَقَعْتُ فِي قَبْضَتِهِمْ أُسِيرًا، ثُمَّ نَهَبُوا بِمَرْكَبِنَا إِلَى جَزِيرَةِ بَعِيدَةٍ فَبَاعُونَا فِيهَا بِنِعِ الْعَبِيدِ، فَاشْتَرَانِي تَاجِرٌ غَنِيٌّ وَأَطْعَمَنِي وَكَسَانِي وَأَوَانِي عِنْدَهُ، ثُمَّ سَأَلَنِي بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلٍ عَمَّا أَحْسِنُهُ مِنَ الْعَمَلِ فَقُلْتُ لَهُ: «أَنَا تَاجِرٌ غَنِيٌّ لَا أَحْسِنُ عَمَلًا غَيْرَ التَّجَارَةِ وَقَدْ وَقَعْتُ فِي قَبْضَةِ لُصُوصِ الْبَحْرِ أُسِيرًا.»

فَقَالَ لِي: «أَلَمْ تَتَعَلَّمِ الصَّيْدَ؟» فَأَجَبْتُهُ: «لَقَدْ تَعَلَّمْتُهُ فِي صِبَايَ، وَفِي قُدْرَتِي أَنْ أَحْسِنَهُ بَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الْمَرَاتَةِ.»

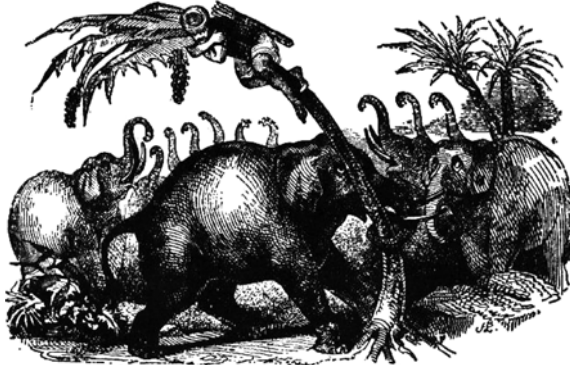


## (٧) صَيْدُ الْفِيلِ

فَأَعْطَانِي قَوْسًا وَنِبالًا وَأَرْكَبَنِي مَعَهُ فِيلًا، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى غَابَةِ بَعِيدَةٍ وَقَالَ لِي: «إِنَّ هَذِهِ الْغَابَةَ مَمْلُوءَةٌ بِالْفِيلَةِ، وَكُلُّ مَا أَطْلُبُهُ مِنْكَ أَنْ تَخْتَبِيَ فِي بَعْضِ الْأَشْجَارِ الْعَالِيَةِ وَمَعَكَ قَوْسُكَ وَنِبالُكَ فَإِذَا اصْطَدَّتْ فِيلًا عُدْتُ إِلَيَّ لِتُخْبِرَنِي بِذَلِكَ.»

ثُمَّ رَجَعْتُ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُ وَتَرَكَتَنِي وَحْدِي، فَصَعِدْتُ إِلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ وَبَقِيتُ عَلَيْهَا طَوْلَ اللَّيْلِ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا، وَلَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ رَأَيْتُ قِطِيعًا مِنَ الْفِيلَةِ يَقْتَرِبُ فَأَطْلَقْتُ سَهَامِي عَلَى أَحَدِهَا فَفَقَتَلْتُهُ وَهَرَبَ بَاقِي الْفِيلَةِ، فَذَهَبْتُ إِلَى سَيِّدِي وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا فَعَلْتُ فَسَرَّ بِذَلِكَ وَشَكَرَنِي شُكْرًا جَزِيلًا وَعَادَ مَعِي إِلَى الْغَابَةِ فَحَفَرْنَا حُفْرَةً كَبِيرَةً وَارَيْنَا فِيهَا جُثَّةَ الْفِيلِ حَتَّى إِذَا مَضَى عَلَيْهِ زَمَنٌ طَوِيلٌ عَادَ إِلَيْهِ فَأَخَذَ عِظَامَهُ لِيَبِيعَهَا بِأَعْلَى ثَمَنِ.

(٨) مَعَ الْأَفْيَالِ



وَمَا زِلْتُ أَصْطَادُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَيْلًا وَأَدْفِنُهُ حَتَّى مَضَى عَلَيَّ شَهْرَانِ، وَكُنْتُ أَتَنْقَلُ مِنْ شَجَرَةٍ إِلَى أُخْرَى حَتَّى لَا تَفْطَنَ الْفَيْلَةُ إِلَى مَكَانِي، وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ رَأَيْتُ قَطِيعًا مِنْهَا مُسْرِعًا إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي كُنْتُ فَوْقَهَا. فَتَوَقَّعْتُ الشَّرَّ. وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَتِ الْأَفْيَالُ فَأَحَاطَتْ بِالشَّجَرَةِ وَجَعَلَتْ تَحْرُكُ حَرَاطِيمَهَا بِعُنْفٍ وَشِدَّةٍ — وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَيَّ وَتُحَدِّقُ فِيَّ — فَاْمْتَلَأَ قَلْبِي رُغْبًا وَسَقَطَ الْقَوْسُ وَالنَّبَالُ مِنْ يَدَيَّ. وَجَاءَ فَيْلٌ كَبِيرٌ فَلَفَّ حُرْطُومَهُ عَلَى جِدْعِ الشَّجَرَةِ الَّتِي كُنْتُ فَوْقَهَا. وَجَذَبَهَا إِلَيْهِ جَذْبَةً قَوِيَّةً. فَاَقْتَلَعَهَا مِنْ جَذُورِهَا وَهَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ.

وَأَقْتَرَبَ الْفَيْلُ مِنِّي فَفَرَعَنِي بِحُرْطُومِهِ وَأَجْلَسَنِي عَلَى ظَهْرِهِ وَأَنَا بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ مِنْ شِدَّةِ مَا لِحَقَنِي مِنَ الْخَوْفِ. ثُمَّ سَارَ بِي وَمِنْ خَلْفِهِ الْأَفْيَالُ الْأُخْرَى إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ حَيْثُ وَقَفَ وَأَنْزَلَنِي إِلَى الْأَرْضِ وَعَادَتِ الْفَيْلَةُ دُونَ أَنْ تَمَسَّنِي بِأَدْيٍ، فَخِيلَ إِلَيَّ أَنَّنِي حَالِمٌ، وَكِدْتُ لَا أُصَدِّقُ مَا أَرَاهُ.



(٩) مَقْبَرَةُ الْفَيْلَةِ

وَنَظَرْتُ فِيمَا حَوْلِي فَرَأَيْتُ كَوْمَةً مِنْ عِظَامِ الْأَفْيَالِ وَأَنْبِيَاهَا فَأَدْرَكْتُ أَنَّهَا لَمْ تُحْضِرْنِي إِلَى هَذَا الْمَكَانِ إِلَّا لِأَكْفٍ عَنْ قَتْلِهَا. وَكَأَنَّهَا عَلِمَتْ أَنَّي لَا أَقْتُلُهَا إِلَّا بُغْيَةَ الْحُصُولِ عَلَى الْعَاجِ فَجَاءَتْ بِي إِلَى هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ لِأَحْمِلَ مِنْهُ مَا أَسْتَطِيعُ حَمَلَهُ.

وَعُدْتُ مُسْرِعًا إِلَى سَيِّدِي فَلَمْ يَكَدْ يِرَانِي حَتَّى أَقْبَلَ عَلَيَّ يُهَنِّئُنِي بِالسَّلَامَةِ وَقَالَ: «لَقَدْ مَرَرْتُ بِالْعَابَةِ الْيَوْمَ فَرَأَيْتُ قَوْسَكَ وَنَبَالَكَ مُلْقَاةً عَلَى الْأَرْضِ إِلَى جَانِبِ شَجَرَةٍ مُقْتَلَعَةٍ مِنْ

جُدُورِهَا فَأَيَّفَنْتُ أَنَّ الْأَفْيَالَ قَتَلْتَكِ كَمَا قَتَلْتَ غَيْرَكَ مِنْ عِبِيدِنَا مِنْ قَبْلِ. فَكَيْفَ نَجَوْتَ؟»  
فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ مَا حَدَثَ لِي فَعَجِبَ وَسَارَ مَعِي حَتَّى رَأَى صِدْقَ مَا قُلْتُهُ.

### (١٠) خَلَاصُ السُّنْدِبَادِ مِنَ الْأَسْرِ

فَفَرِحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا وَشَكَرَنِي عَلَى ذِكَائِي كُلِّ الشُّكْرِ، وَقَالَ لِي: «لَقَدْ هَدَيْتَنِي إِلَى طَرِيقِ ثُرُوءٍ طَائِلَةٍ لَمْ أَكُنْ لِأَحْلَمَ بِهَا مِنْ قَبْلُ. وَقَدْ أَعْتَقْتَكِ وَجَعَلْتَكِ حُرًّا». فَشَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ وَفَرِحْتُ بِخَلَاصِي مِنَ الْأَسْرِ وَالْعُبُودِيَّةِ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الْعُودَةِ إِلَى وَطَنِي فَأَعْطَانِي مَالًا كَثِيرًا وَهَدَايَا نَفِيسَةً. وَمَقْدَارًا وَافِرًا مِنَ الْعَاجِ بَعْتُهُ — فِيمَا بَعْدُ — بِأَعْلَى ثَمَنِ.

### (١١) الْعُودَةُ إِلَى الْوَطَنِ

ثُمَّ نَزَلْتُ إِلَى مَرْكَبٍ كَانَ مُسَافِرًا إِلَى «الْبَصْرَةِ» فَسَارَ فِي الْبَحْرِ أَيَّامًا وَلَيَالِي حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَلَدٍ كَبِيرٍ. فَاسْرَعْتُ بِالنُّزُولِ وَأَنَا أَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى سَلَامَتِي مِنَ الْبَحْرِ، وَذَهَبْتُ مَعَ قَافِلَةٍ كَانَتْ سَائِرَةً إِلَى «بَغْدَادَ» وَمَا زِلْنَا سَائِرِينَ فِي الْبَرِّ أَيَّامًا وَلَيَالِي حَتَّى وَصَلْنَا إِلَيْهَا.

### (١٢) فِي بَغْدَادَ

وَلَمْ أَكُذْ أُدْخِلُ «بَغْدَادَ» حَتَّى قَابَلَنِي أَهْلِي وَأَصْحَابِي فَرِحِينَ بِعُودَتِي سَالِمًا. وَلَمَّا ذَهَبْتُ إِلَى الْخَلِيفَةِ «هَارُونَ الرَّشِيدِ» قَابَلَنِي أَحْسَنَ مُقَابَلَةٍ وَفَرِحَ بِقُدُومِي أَشَدَّ الْفَرَحِ وَقَالَ لِي: «لَقَدْ أَقْلَقَنِي غِيَابُكَ وَخَشِيتُ عَلَيْكَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَكَ سُوءٌ، فَمَاذَا عَوَّلَكَ؟»

فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ كُلَّ مَا حَدَثَ لِي فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الْعَجَبِ وَأَمَرَ أَنْ تُكْتَبَ قِصَّتِي بِمَدَادٍ مِنْ نَهَبٍ لِتَكُونَ عِبْرَةً لِكُلِّ مَنْ قَرَأَهَا، وَكَافَأَنِي أَجْرَلْ مُكَافَأَةً فَعَدْتُ مِنْ عِنْدِهِ شَاكِرًا. وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَنَا فِي «بَغْدَادَ» أَنْعَمُ بَيْنَ أَهْلِي وَأَصْحَابِي بَعِيدًا عَنِ الْأَسْفَارِ أَمِنًا مِنَ الْمَخَافِ وَالْأَخْطَارِ.

## خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وَلَمَّا انْتَهَى السُّنْدِبَادُ مِنْ كَلَامِهِ، انْتَفَتَ إِلَى الْهِنْدِبَادِ الْحَمَّالِ وَقَالَ لَهُ: «وَالآنَ مَا رَأَيْكَ أَيُّهَا الصَّدِيقُ؟ هَلْ سَمِعْتَ فِي حَيَاتِكَ أَغْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟ وَهَلْ تَعَرَّضَ أَحَدٌ لِمِثْلِ مَا تَعَرَّضْتُ لَهُ مِنْ الْمَهَالِكِ وَالْأَخْطَارِ؟ أَلَيْسَ مِنْ حَقِّي — بَعْدَ كُلِّ مَا لَقَيْتُهُ مِنَ الْمَتَاعِبِ وَالْأَهْوَالِ — أَنْ أَقْضِيَ النِّقِيَّةَ الْبَاقِيَةَ مِنْ عُمْرِي هَادِئًا مُطْمَئِنًّا؟»

فَقَامَ إِلَيْهِ «الْهِنْدِبَادُ» الْحَمَّالُ وَقَبَّلَ يَدَهُ — فِي احْتِرَامٍ وَأَدَبٍ — ثُمَّ قَالَ لَهُ: «الْحَقُّ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْ أَغْرَبَ مِنْ قِصَّتِكَ، وَلَسْتُ أَرَى أَحَدًا أَجْدَرَ مِنْكَ بِالسَّعَادَةِ لِأَنَّكَ أَدْرَكْتَهَا بِجِدِّكَ وَاجْتِهَادِكَ، وَلَيْسَتْ مَتَاعِبِي الَّتِي أَحْتَمِلُهَا كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا مَذْكَورًا إِذَا قَبِيسَتْ إِلَى رِحْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ رِحَلَاتِكَ الْعَجِيبَةِ! وَلَقَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ: «مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْلِ الرَّغَائِبَ» وَقَدْ حَلَّاكَ اللَّهُ بِصِفَاتٍ نَادِرَةٍ، فَأَنْتَ — فَضْلًا عَنْ شَجَاعَتِكَ وَجُرْأَتِكَ — مُحْسِنٌ بَارٌّ بِالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَلَيْسَ لِي مَا أَكْفِيكَ بِهِ — بَعْدَ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ — إِلَّا الدُّعَاءَ لَكَ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ وَأَطَالَ عُمُرَكَ وَمَتَّعَكَ بِبُرُوتِكَ وَصِحَّتِكَ».

فَهَشَّ لَهُ «السُّنْدِبَادُ» وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَمَنَحَهُ مِائَةَ دِينَارٍ أُخْرَى، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ كُلَّ يَوْمٍ.

وَاتَّخَذَهُ «السُّنْدِبَادُ» صَاحِبًا لَهُ فَأَغْنَاهُ بَعْدَ فَقْرِهِ، وَأَصْبَحَ «الْهِنْدِبَادُ» — مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ — مِنْ خَيْرَةِ أَصْفِيَاءِ «السُّنْدِبَادِ» وَنُدَمَائِهِ.